الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت –

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

النكبات الأندلسية من خلال الشعر الأندلسي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في تاريخ الغرب الإسلامي

إعداد الطالبات:

- سي الناصر مسعودة
- بوحميد أسماء

إشراف الأستاذ:

د. بلقاسم بن عودة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الصفة
		رئيسا
بلقاسم بن عودة		مشرفا ومقررا
		عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1440-1441هـ/2018-2019م

بسم الله الرحمن الرحيم

قائمة المختصرات:

الاختصار	ما يعنيه
ط	طبعة
ج	الجزء
د.ط	دون طبعة
تر	ترجمة
تق	تقديم
تح	تحقيق
د.ت	دون تاريخ
م	مجلد
ط.خ	طبعة خاصة

مقدمة

مقدمة:

يعتبر التاريخ الإسلامي من بدايته مع السيرة النبوية مرورا بعصر الخلافات الأربع والخلافيتين الأموية والعباسية وصولا إلى بروز الدويلات في المغرب والمشرق العربيين، كله تاريخ حافل بالانجازات التي مست جميع الأصعدة سواء من خلال الحروب التي يقارعون فيها، أعداء الدين، أو من خلال تلك القفزة الهائلة التي شهدها العالم الإسلامي في المجال الثقافي والتي رسمت الوجه الحقيقي للحضارة الإسلامية وأعطت صورة ومعنى حقيقي عن مدى تشبع الإسلام بالتحضر والتطور وقدرة امتزاجه مع بقية الأديان والحضارات، وهذه الانجازات كانت ثمرة تجاوز عدة نكبات وتحديات كانت من الممكن أن تعصف بالإسلام إلى المجهول لولا مرونة ودهاء وفطنة حاملي راية الإسلام من خلفاء ملوك الأمراء وحتى الشعراء كان لهم نصيب شحن الهمم ورفع المعنويات، فهم اللذين أطلقوا العنان لأقلامهم كي تمدح الانتصارات المدوية للمسلمين، أو رثاء المدن الإسلامية التي كنت تسقط بعد الصراع والحروب مع المشركين، وهذا ليس بالأمر الغريب فشعراء العصر الجاهلي أبدعوا في انتقاء الحروف والمعاني التي كانوا يبكون من خلالها الهزائم التي كانوا يتكبدونها.

وبعد ظهور الإسلام واصل الشعراء إبداعهم في رثاء المدن التي كانت تسقط بأيدي النصارى ورثاء القادة المسلمين الذين يلقون الشهادة في المعارك وأحسنوا رسم صور سقوط المدن بين أيادي الطغاة بذلك استطاعوا شحن همم الصغير قبل الكبير والنساء قبل الشيوخ، من ذلك رثاء أكبر محنة تعرضت لها الخلافة العباسية وهي سقوط مدينة بغداد في المغول.

والتي بكاها العديد من الشعراء العباسيون متطرفين إلى ما طال المدينة من اللذين كانوا على تدوين النكبات بصفة سردية أي كيفية انتقاءهم للحوادث التاريخية الخاصة بالنكبات من خلال شعر النكبات فهذه كلها أسباب دفعتنا لبحث في الموضوع فحقيقة كل محب للتاريخ والشعر الأندلسي سيجد نفسه محتم على دراسة هذا الموضوع.

كما لا يمكننا إخفاء رغبتنا وميولنا في دراسة الموضوع وتقصي حقيقة تدوين نكبات الأندلس في الشعر الأندلسي من جهة، والرغبة في مدى تأثير ذلك الشعر على الأندلسيين بصفة عامة على المجتمع الأندلسي وعلى مؤرخي الأندلس وما مدى استفادتنا منه نحن كباحثين اليوم.

قبل الغوص في ثنايا هذا الموضوع الشيق الذي يحمل في طياته دلائل كبيرة على عظمة وقوة الأدب الإسلامي بصفة عامة والأندلسي بصفة خاصة وجدنا أنفسنا أمام حتمية طرح الإشكالية رئيسية وعامة حول الموضوع تكون المرجع الذي لا ينحرف منه موضوع نكبات الأندلس من خلال الشعر وتكون الصورة التي نبني عليها خطة العمل، بالتالي بعد نظرة على جوانب الموضوع من حيث هدف الذي يجب تحقيقه من خلال هذه الدراسة طرحنا الإشكالية التالية:

- ما هو مفهوم النكبات في الأندلس؟
- فيما تتجلى أسباب النكبات؟
- فيما يكمن هدف شعر الرثاء ؟ فيما تبرز حرية هذا الشعر؟
- كيف كانت ردود الشعراء اللذين تعرضوا للنكبات؟
- فيما تجسدت نكبة بربشتر ونكبة طليطلة؟
- إلى أي مدى يمكن نقص النكبات في عهد المرابطين والموحدين؟
- ما هي أبرز إسهامات أبو البقاء الرندي؟ وبما تميز شعره؟

وبالنسبة للمغرب نّوه الأميون بالإسلام وعلى رأسهم عبد الرحمن الداخل ليعقبه العصر الأندلسي في المغرب والذي عرف تعاقب العديد من العصور منها عصر الإمارة وعصر الخلافة وعصر الملوك والطوائف،كلها فترات عرفت تشعبا وتنوعا في الأحداث، ميزتها الانتصارات والنكسات والنكبات عرفت التطور والتدهور كل ذلك دونه الشعراء الأندلسيون بأحرف من ذهب في أبيات تقشعر لها الأبدان وتذهل من معانيها الأذهان، فكانت لا تمر نكبة إلا وتناوب شعراء الأندلس على

تدوينها بالتالي كان أغلب المؤرخون يلجئون إلى تلك الأبيات لمعرفة مجريات وأحداث وأسباب تلك النكبات، ونظرا لأهمية التاريخ الأندلسي بصفة عامة والنكبات التي دونها الشعراء بصفة خاصة ارتأينا أن نقوم بدارسة بسيطة حول الموضوع الذي عنوناه: بالنكبات الأندلسية من خلال الشعر الأندلسي.

وبالتالي الأهمية الكبيرة للموضوع من بين أهم الأسباب التي دفعتنا للبحث فيه فالشعر الأندلسي غني عن التعريف، لكن معرفة مدى تأثير النكبات التي ضربت الأندلس والتي أرغمت أقلام جل شعراء الأندلس على رثائهما ومعرفة الظروف التي كانت تجعل الشاعر الأندلسي يبدع في كتابة أبيات تذهل العقول وتشحن الهمم حول كل ما يخص تلك النكبات كذلك وردنا معرفة العلاقة بين تلك الأبيات التي ترثي النكبات والمؤرخين وحتى تتسم الدراسة بالإحاطة والعمق، على مستوى المنهجية والفهم، اعتمدنا على المنهج التاريخي، للخوض في تتبع مراحل تطور النكبات الأندلسية من خلال الشعر الأندلسي.

وقسمت البحث إلى مدخل ومقدمة وثلاثة فصول وخاتمة للبحث.

أما الفصل الأول فقد عنون ب:شعر النكبات في الأندلس وفيه أوردنا مفهوم النكبات لغة واصطلاحا، ثم انتقلنا إلى ذكر أهم أسباب النكبات انطلاقا من حدوث الكوارث المتمثلة بسقوط الدول ودمارها. والمعاصي التي تمادى الناس في ارتكباها أما العنصر الثالث فكان موسوم ب: شعر الرثاء(الهدف منه وحريته) المتمثل في رثاء المدن ورثاء الأشخاص ، الأصدقاء بالإضافة إلى ذكر أهم الشعراء الذين تعرضوا للنكبات.

أما الفصل الثاني الموسوم ب: النكبات في عصر ملوك الطوائف فقد تطرقنا فيه إلى نكبة بربشتر ونكبة طليطلة باعتبار طليطلة أحد أهم المراكز الحضارية والاقتصادية في الأندلس أما المبحث الثاني فكان بنقص النكبات في عهد المرابطين معتمدة في ذلك على أساس العقيدة الدينية دون أن ننسى ذكر النكبات في عهد المرابطين التي قامت على أسس وأهداف لا علاقة لها بنهوض الأمة أو انقاضها.

أما الفصل الثالث خصصناه لدراسة طيلة النكبات قبيل سقوط الأندلس من خلال شعر بني الأحمر وقد برز ذلك من خلال اتجاهاته المختلفة والمتغيرة، أما العنصر الثاني فتمثل في الأغراض الشعرية في الأندلس (الهجاء، المدح، الرثاء، الوصف، الغزل). كما درسنا الصورة الفنية لبروز ملوك الشعراء ومكانة الشعر لديهم. وآخر عنصر تمثل في شخصية أبو البقاء الرندي وشعره.

وفي الأخير ختمنا بحثنا بخاتمة استعرضنا فيها ما توصلنا إليه من نتائج اتصلت بظاهرة النكبات والتي سميت بشعر النكبات في الأندلس، وخصائص هذا الشعر.

ولعل من بين الصعوبات التي واجهتنا، هي قلة الدراسات التي تناولت ظاهرة النكبات، لأن كل موضوع بطبيعته يتطلب تحليل وتمحيص بأكثر دقة بالإضافة إلى قلة توفر المادة العلمية في هذا الموضوع وصعوبة التوسع في هذا المجال (النكبات).

لقد اقتضت طبيعة الموضوع الاعتماد على جملة من المصادر والمراجع سنذكر أهميتها فيما يلي :

- كتاب " الإحاطة في أخبار غرناطة"لمؤلفه لسان الدين ابن الخطيب (ت776هـ)

من أهم الدراسات في تاريخ المغرب والأندلس ويتألف من أربعة أجزاء ترجم فيها سير الملوك وأمراء وعلماء غرناطة وجميع الذين وفدوا من المشرق والمغرب ورتبهم على حسب حروف المعجم. والذي أفادنا في أنواع الأغراض الشعرية في الأندلس.

- كتاب " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب" لمؤلفه أبي العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت1041هـ/ 1632م)، وهو عبارة عن موسوعة تراجم الأدباء وفقهاء المغرب والأندلس وتكمن أهمية هذا المصدر في تعرضه لعدد كبير في علماء الأندلس الذين ساهموا في تمتين الروابط الثقافية بين الأقاليم، وقد ساعدنا الجزء الرابع في ذكر نكبة طليطلة ومركزها الحضاري.

- أما عن المراجع فكانت متعددة كتاب" الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة" لمؤلفه أحمد هيكل الذي ساعدنا في معرفة طيلة النكبات قبيل سقوط الأندلس من خلال شعر بني الأحمر واتجاهات هذا الشعر.

- كتاب الفتن والنكبات الخاصة وأثرها في الشعر الأندلسي" لمؤلفه فاضل فتحي والذي

ساهم بدوره في معرفة أهم الشعراء الذين تعرضوا للنكبات في الأندلس ومعرفة أبرز خصائصهم.

وأخير... فإن حقت هذه الدراسة ما ترجوه، فذلك من توفيق اللّه وحده، وإن بدا خطأ أو تقصير فذلك من أنفسنا، وما الكمال إلا لله وحده، والعصمة لرسوله صلى الله عليه وسلم.

مدخل:

ظاهرة العزة والنفوذ في عهد

بني أمية والدولة العامرية

1- ظاهرة العزة والنفوذ في عهد بني أمية في الغرب

2- الدولة العامرية ونكبة سقوط قرطبة.

1- ظاهرة العزة والنفوذ في عهد بني أمية في الغرب:

لما آل أمر الخلافة إلى بني العباس بعد تغلبهم على بني أمية، شرعوا في تعقب فلولهم في المشرق، وكان أبو العباس أول الخلفاء العباسيين قد أمر بقتل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، هذا ما جعله يفر نحو فلسطين، وبعد عدة محطات استقر في قبيلة **زناته**[1] التي كانت أمه **راح** من سبيها، وهذا يعد العامل الأساسي في قدوم عبد الرحمن إلى المغرب، حيث جعل من الأخيرة نقطة ارتكاز ونمو للدولة الأموية خاصة أن قبائل المغرب تتصف بالعز، الوفاء بالعهد، الصبر والثبات في الشدائد[2].

كان عبد الرحمن شاعرا أديبا ذا همة عالية وكانت له غزوات كثيرة وفتوحات شهيرة أبرزها انتصاره على حاكمي الأندلس **يوسف الفهري والصميل بن حاتم** سنه 138هـ بعدها تولى زمام **الإمارة بالأندلس** وأصبح يعرف بالداخل لأنه دخل من بني أمية إلى الأندلس واستطاع أن يحكمها وبحكمه انتهى عصر الولاة، قام بتشييد القصور وبناء الرصيف والمساجد والجوامع في الأندلس واتخذ السكة بقرطبة[3].

وما يدل على قوة ونفوذ الأمويين في الأندلس هو إشراك عبد الرحمن الداخل لبربر المغاربة في تشكيل الجيش الأندلسي، وعمل على إخماد الثورات المناوئة له وصد المؤامرات الداخلية والخارجية المحاكة من طرف الخلافة العباسية على الخصوص[4]، مثل ما فعله بالعلاء بن المغيث اليحصبي الذي سار للأندلس وخطب للمنصور العباسي فقتله عبد الرحمن بنواحي اشبيلية، وفي هذه الموقعة حملت

---

[1]- محمد الأمين محمد ومحمد علي الرحمن: المفيد في تاريخ المغرب، دط، دار الكتاب للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ص ص68-69.

[2]- محمد عدنان: سهولة الانتشار بين المغرب والأندلس، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة خليل، 2012، ص47.

[3]- ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج2، ط2، تح، كولان ليفيي بروفنسال، دار الثقافة للنشر، بيروت، 1400هـ/1980م، ص91.

[4]- محمد عدنان : المرجع السابق، ص ص49-50.

رؤوس العباسيين إلى المنصور[1]، بعدها قضى الداخل على الصقلبي وهو عبد الرحمن بن حبيب الفهري الذي أراد العبور من الأندلس من إفريقية وعمل على إدخال الأندلسيين في طاعة الدولة العباسية كان ذلك بتاريخ 161هـ، ولقي أبي الأسود وهو محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الفهري مصير سابقيه في قرطبة سنة 168هـ[2].

دامت فترة حكم عبد الرحمن الداخل حوالي ثلاثين سنة استطاع من خلالها إحباط محاولات العباسيون في الاستيلاء على العرش بالأندلس، بل عزز نفوذ وسلطة الأمويين في المنطقة، لتأخذه المنية سنة 171هـ بعد أن كتب البيعة لابنه **هشام** الذي أحبط محاولة أخوية **سليمان وعبد الله** في سلبه كرسي العرش الأموي في الأندلس وقام بإجلائهما عن الأندلس، ليقوم بعدها **بغزو الإفرنج** وأشرف على فتحها كما قضى على فتنة تاكرتا التي عرفت أعمال تخريب وفساد، وفي سنة 180هـ خطفت الموت هشام بن معاوية الذي شبهه أهل الأندلس بعمر بن عبد العزيز وأهم مخلفاته هي إتمام بناء الجامع بمدينة قرطبة[3].

تولى بعده الحكم في الأندلس **الحكم الربضي** الذي استطاع أن يقضي على ثورة عمه **سليمان بن عبد الرحمن**، وأخمد ثورة المولدين*181هـ عبيد بن حميد، ومن ناحية أخرى قام بتولية عمه عبد الله على بلنسية.

بعد الربضي تولى أمور الأندلس ابنه **عبد الرحمن بن الحكم** الذي تميزت فترة حكمه بعدة ثورات مناوئة له والتي استطاع إخمادها، كثورة عمه عبد الله البلنسي 206هـ، وثورة الغوط في

---

[1]- ابن الأثير : الكامل في التاريخ، المجلد5، ط1، مر، محمد يوسف الدقاق،دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ص 149.

[2]- نفسه : ص ص248-258.

[3]- المصدر نفسه، ص ص 280،308.

* - **المولديين:** هم المسلمين من العرب والبربر اللذين قدموا من المغرب بعد الفتح، وتزوجوا بنساء أهل الأندلس وأطلق عليهم المؤرخون اسم المولديين أو المستعربيين هم المسلمون اللذين تختلف أشكالهم وطبائعهم عن المسلمين العرب والبربر انظر: طارق سويدان، الأندلس التاريخ المصور، ط1، الإبداع الفكري، الكويت، 2005، ص128.

الشمال الأندلسي 208هـ، وثورة البربر 213هـ التي تزعمها محمود بن عبد الجبار بن راحلة بمنطقة ماردة، إضافة إلى ذلك خاض عبد الرحمن عدة ثورات ضد النصارى أبرزها تمرد أليخيو والقديسين 235هـ.

بعد عبد الرحمن بن الحكم تولى **عبد الرحمن الأوسط** أمور الأندلس،الذي استهل عهده بعدة إصلاحات واهتم بجميع القطاعات كاهتمامه بالأسطول الإسلامي الذي أصبح يحمي السواحل الأندلسية من الضربات النصرانية ودام حكمه حوالي 32سنة حتى 238هـ، ليتولى بعدها **محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (محمد الأول)** حكم بني أمية في الأندلس، تميز حكمه بالصراع مع النصارى في الشمال كمملكة ليون إلى جانب ثورة عمر بن حفصون الخطيرة 264هـ[1]، وأخضع أهل طليطلة اللذين خرجوا عنه في موقعة قال عنها صفوان بن العباس أخو القاسم:

ضنزط القاسم يوما ضنزطة في القـرمـيـط

مات منها كل حوت كان في البحر والمحيط[2].

أما بن عذاري المراكشي فيقول عنه أنه **"كان ذا سلطة يؤثر الحق وأهله لطيف فطين كان مأمولا محبوبا في جميع البلدان"** فحتى محمد بن أفلح صاحب تاهرت كان لا يقدم ولا يؤخر في أمور معضلاته إلا عن رأيه وأمره، كذلك بنو مدرار بسجلماسة وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على عزة ونفوذ ومكانة الأموي عبد الرحمن.

وأشهر معاركه ضد النصارى هي موقعة **وادي سليط** التي لم تشهد الأندلس مثلها من قبل وصفها عباس بن فرناس قائلا:

[1]- طارق سويدان، المرجع السابق، ص ص 128-144.

[2]- ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ص94.

مختلف الأصوات موتلف الزحف لهوم الفلاعبل القنابل متلف

إذا أومضت فيه الضوارم خلتها بروقا ترادى في الجهام وتختفي

كـأن ذري الأعـلام في مـيلانه قراقير في يم عجرن عن القذف

وإن طحنت أرحاها كل قطبها حجي ملك ندب شمائله عف[1].

هذه جملة من التطورات التي طرأت في بلاد الأندلس، في عهد الأمراء الأمويين تم تنظيم الدولة كخلق منصب الحجاية أو الوزارة، وتم صك النقود في دار الصكوك للنقد الإسلامي، إلى جانب الاهتمام بالعمران كالمدن والجوامع والمرافق العامة، أما ثقافيا فقد زاد التبادل الثقافي بين المشرق والأندلس وزاد معه العلماء والشعراء.

وعسكريا قام الأمراء الأميون بتنظيم القوات العسكرية في الأندلس، بحيث شكلوا قوات بحرية وقسموا الأندلس إلى عدة مناطق عسكرية، ولكل منطقة جيش خاص بها يخضع لقيادة أميرها أو قائدها، ويتم تجميع هذه القوات أيام الحروب في منطقة الحشد ويعلن ذلك في العاصمة، وفور انتهاء الحرب يعود كل جيش إلى منطقته وإذا وقع هجوم مباغت فإن كل جيش يقوم برده إلى أن يأتيهم المدد من بقية المناطق هذا بالنسبة للجيش النظامي، وهناك أيضا المتطوعون أو المرتزقة الملحقون إبان الأزمات أو المواجهات مع الأعداء، وتشكل هذه الفئات دعم كبير للجيش النظامي ذلك من أجل صد الضربات الخارجية[2].

كما شهدت الأندلس في فترة الأمراء الأمويين تنظيم كبير على المستوى القضائي يقول **بن محمد الرازي** أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم كان له أحدى عشر قاضيا في قرطبة، هذا ما يعكس الاهتمام الكبير الذي أولاه الأميون للقضاء.كما عهد الأمراء ازدهار وتطور في الحركة

[1]- ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ص ص 108-112.

[2]- طارق سويدان: المرجع السابق، ص ص 152-153.

الشعرية، فكان الأمراء أنفسهم يقولون الشعر و يبدعون في تركيب أبياته منهم عبد الرحمن الداخل و الحكم الربضي الذي كتب أبياتا عن إخماده لثورة أهل ربض قرطبة قال فيها:

رأيت صدوع الأرض بالسيف راقما وقدما لأمت الشعب منذ كنت يافعا

فسائل ثغوري الآن هل بها ثغرة أبـادرها مـستنصـى العـزم دارعـــا

وخلال هذا العصر برز كثير من الشعراء خاصة شعراء البلاط أمثال بكر الكناني، عباس بن ناصح، غريب بن عبد الله، قرلمان، ابن سمزة ، أبي المخشي، زرياب وعباس بن فرناس الذي تميز شعره بالمدح والذم والبكاء على الأطلال وغيرهم من أصحاب الإبداع الشعري الأموي، إضافة إلى الشعر تم تأسيس المدرسة الموسيقية الأندلسية بقيادة وإدارة زرياب[1].

وبالعودة إلى الجانب العسكري ذكرنا أن أمويو الأندلس أصبحوا يملكون بحرية قوية بفضل زيادة دور صناعة السفن الأكثر قوة وتحملا لهذا غدي الأسطول الأندلسي لا يحرص السواحل الأندلسية فقط بل يجول مياه الأطلسي حتى الخليج بسقاية ومن شواطئ الفرنجة على المتوسط في الشرق إلى شواطئ أو أعالي شواطئ جلقية على الأطلس في الغرب[2].

وما أكسب الأميون في الأندلس قوة هو ذلك الجهاد الكبير في عهد الإمارة الذي لم يشهده عهد الولاة قبله، والجهاد كان مرتبط بما يجري للخلافة الإسلامية في الشرق، كما ارتبط بأوضاع شبه الجزيرة الأندلسية كنشوء دويلات في إسبانيا الشمالية في مناطق عدة مثل : جلقية، ألية والقلاع، برشلونة، وهذا الجهاد هو الذي زاد من نفوذ الأمويين في الأندلس من خلال ضم عدة مناطق نفوذ إلى الصف الأندلسي[3].

---

[1]- ابن حيان القرطبي: المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تح، محمود علي مكي، دط، القاهرة، 1994، ص176، وينظر: آنخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، تر، حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية للنشر، القاهرة، دت، ص ص 51-58.

[2]- عبد الرحمن علي الحجي : التاريخ الأنلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ط2، دار القلم للنشر، لبنان، 1981، ص235.

[3]- نفسه، ص 244.

تميز العهد الأموي بغزارة الإنتاج العلمي الذي دعمه ازدهار الميدان الثقافي وكثرة الإنتاج واتساع نطاق التعليم وزاد الاهتمام بالكتب والمكتبات في أنحاء الأندلس كافة وشملت كلا الجنسين، وبهذا غدت الأندلس أحد أكبر المراكز الثقافية في العالم الإسلامي.

وكان أحد الجوانب الحضارية التي أولتها النهضة العامة في الأندلس، فوصلت الأندلس إلى أعلى القمم في مجال الهندسة والفن العمراني تميز بالدقة والذوق والأناقة، وتجسدت هذه الإبداعات في المدن، القصور، الدور والحمامات وغيرها.

في هذه المرحلة ساد الأمن والرخاء باستثناء بعض الأحداث الداخلية التي عكرت الجو الأموي في الأندلس كتحرشات اسبانيا الشمالية والفرنج.

أقام الأندلسيون علاقات دبلوماسية مع عدد من دول غرب أوربا وغيرها بعد أن تمكنوا من تدشين قوتهم و نفوذهم في المنطقة، هذا ما جعلها تشهد توافد سفارات كثيرة[1].

[1]- عبد الرحمن علي الحجي ، المرجع السابق، ص ص 276-279.

سبقت فترة حكم عبد الرحمن المستنصر فترة **الفتنة الأولى** الممتدة من أواخر عهد الأمير محمد حتى الأيام الأولى في حكم عبد الرحمن الناصر، اتسمت بحرب بين الثائرين اللذين تكاثروا في كل نواحي الإمارة وبين الأمراء الأندلسيين فيما بينهم[1]، وقصيدة الشاعر الأموي **أبو عدى العبلي** تعكس حدة الصراعات التي كانت تدور بين الأمويين من خلال قوله :

سائل عينيك جاعلا أقذاؤها شرقت بعبرتها فطال بكاؤها

واعتادها ذكر العشيرة الأسى وصطاحها ناب بها ومساؤها

شركو العدا في أمرهم فتفاقمت منها الفتون ومزقت أهواؤها

ظلت هناك وما يعاتب بعضها بعضا فينفع ذا الرجاء رجاؤها

إلا يمر هفة الظبات كأنها شهب ثقل إذا هوت أخطاءها

معسل رزق يكون خضابها علق النحور إذا تفيض دماؤها

فبذاكم أمست تعاتب بينها فلقد خشيت بأن يحم فناؤها.

وهذه الأبيات تفسر ردة فعل الشاعر الأموي عند حدوث نزعات وأزمات في الأندلس، فكان الشاعر يعبر عن رفضه لما كان يحدث في الأندلس[2].

عرفت الأندلس نهضة عمرانية كبيرة في عهد عبد الرحمن الناصر 300هـ الذي استطاع توحيد الأندلس بعد تمزقها، فقام ببناء مدينة الزهراء 325هـ وهزم بنو حفصون وسيطرة اشبيلية، كما أخضع سرقسطة ودخل بنيلونة، وكثر صراعه مع النصارى وأبرز ثوراته معهم هي غزوة الخندق.

[1]- حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دط، مكتبة الأسرة الأعمال الفكرية، دم، 2003، ص351.

[2]- شاهر عوض الكفاوين : الشعر العربي في رثاء الدول والأمصار حتى نهاية سقوط الأندلس، رسالة دكتوراه، في الأدب العربي، جامعة أم القرى، مكة، 1984، ص52.

هذه الإنجازات جعلت الدول تحاول الدخول في صداقة مع ممثل بيزنطة والقسطنطينية وتبادل السفراء معهم، ونتج عن ذلك عدة معاهدات سلم وأمن، فآمن المسلمون في الثغور وساد الهدوء.

أما من الناحية الإدارية تم تقسيم مدينة قرطبة إلى ثمانية وعشرين ناحية، وضعت عليها رجال شرطة، وكانت هناك شرطة الليل وشرطة النهار، ومن جهة أخرى تم تنظيم جباية المال وبيت المال، كذلك نظم أسلوب البريد والضرائب والخراج والجزية، ومن الناحية القضائية أنشأ **قضاء المظالم** هو ما يقابل محاكم الاستئناف في يومنا هذا التطور أكسب قرطبة نفوذ وتطور كبير حتى أنها سميت **"جوهرة العالم"**[1]

بهذا أصبح الناصر أكبر ملوك شبه الجزيرة وأعاد إلى دولته وحدتها وتمكن إلى جانب ذلك من إقرار هيبة الخلافة القرطبية في المغرب الأقصى وجعل منها أقوى دول العالم، واتخذ لقب الخليفة من عبد الله المهدي ملك القيروان من خلال بيان أعلن فيه نفسه خليفة، لذلك أطلق الكثير من المؤرخين على عصره العصر الذهبي[2] وقال فيه الشاعر ابن عبد ربه:

يا بن الخلاف إن المزن لو علمت ندالك ماكان منها الماه ثجاجا

والحرب لو علمت أن ما تصول به ما هجت من حييك الذي اهتاجا

مات النفاق وأعطى الكفر ذمته وذلت الخيل إلجاما و إسراجا[3].

وحسب ابن عذارى المراكشي أطال الشعراء في مدحه وقد نظم بن عبد ربه في غزواته أرجوزة من سنة 301هـ حتى 333هـ، وأبرزها منبر قرطبة هو مسجدها الأعظم وفي ذلك قال موسى بن سعيد الطويل:

---

[1]- طارق سويدان: المرجع السابق، ص ص 180-190.

[2]- حسين مؤنس : ص ص 371-372.

[3]- ابن عذارى المراكشي : المصدر السابق، ص224.

لعمري لقد أبدى الإمام تواضعا فأصبح للدنيا وللدين خاشعا

بنى مسجدا لم يبين في الأرض مثله وصلى به لذا العرش رائعا

فطوب لمن كان الأمير محمد له إذ دعا فيه إلى الله شافعا[1].

ومن الناحية الثقافية صارت قرطبة مركزا للعلوم والآداب وانتشرت الثقافة وكثر الإنتاج العلمي وشاعت المعرفة بلغ عدد الكتب 400.000 كتاب في مكتبة واحدة هي مكتبة الحكم وبلغ عدد المكتبات 80 مكتبة وكان الناصر يعرف بحبه للعلم والعلماء وأشهر العلماء هم القاضي عبد الله، محمد بن محمد، القاسم بن الدباغ وبرز ابن عطية في التفسير والباجي وبن وضاح وبن عبد الشرفي في الفقه وفي الفلسفة بن رشد وابن ميسرة القرطبي وفي المعجم ابن سيدة. وعمل الناصر على نشر المعرفة في ربوع الأندلس في قرطبة وحدها سبعا وعشرين مدرسة، فأصبحت قرطبة منارة لجذب العلماء وقد قام القاضي منذر بن السعيد بمدح الناصر عند بناءه الزهراء فقال:

يابابي الزهراء مستغرقا أوقاته فيها أما تأمل

لله ما أحسنها رونقا لو لم تكن زهرتها تذبل.

ومظاهر العزة والفخر في عهد الناصر يلخصها الشاعر في قوله:

أيام كانت القصور الملك العالية كان الفرنج إلى الغابات آوبنا

وحين كنا نجرا الخزاردية كانو يسيرون في الأسواق حافيا[2].

يقول بن أثير أن الناصر هو أول من لقب من الأمويين بألقاب الخلفاء كأمير المؤمنين[3]، ولما توفي رثاه جعفر بن عثمان المصحني قائلا:

---

[1]- ابن عذارى المراكشي : المصدر السابق، ص ص 226-230.

[2] - طارق سويدان: المرجع السابق، ص ص 203-204.

[3]- ابن أثير: المصدر السابق، ص270.

ألا أن أيـاما هـفت بايامــها لجائرة مشتطة في احتكامها

فلم يولم الدنيا عظام خــطوبها وأحدائها إلا قلوب عظامها

تأمل فهل من طالع غـير آفل لهن وهل من قاعد لقيامها

وعاين فهل عـائش برضـائهــا من الناس إلا ميت بفطامها

كأن نفوذ الناس كانت بنفســه فلما توارى أيقنت لحمامها

فطار بها يأس الأسى و تقاصرت يد الصبر عن أعوالها واحتدامها.

وفيه أيضا يقول المراكشي" **ذي العزة الغالبة والمملكة الباقية تبارك اسمه وتعالى جده**"، وبالتاي هذا المدح يدل على النفوذ والعزة والفخامة والعظمة عند حكام بني أمية، لذلك كان الشعراء يبدعون في المدح الذم خاصة رثاء المدن والأمصار والشخصيات من أجل شحن هم الأندلسيين لمواصلة الجهاد ومقارعة النصارى[1] .

أما ابنه الحكم سارع إلى إحضار الشيوخ والمهندسين لجامع قرطبة ذلك عزز الخزان الثقافي الأندلسي الذي أصبح قبلة للمشايخ من المغرب والمشرق العربيين، وفي إطار حروبه غزا الحكم المستنصر بالله بلاد الروم التي فتح بها حصون كثيرة ومدن جليلة، كمدينة طليطلة التي وثق أمورها حتى مدحه عبد الملك بن سعيد في قوله :

ملـك الخـلافة آبه الإقبــال وسعوده موصولة بتوالي

فـالمسـلمــون بـعزة وبرفعـة والمشركون بذلة وسفال

ألقت بأيديها الأعاجم نحوه متوقعين لصوله الرثبال

هــذا أميـرهــم أتــاه آخــذ منه أواصر ذمة وحبال[2].

[1]- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص ص 323-324.

[2]- بن عذاري المراكشي، ج2، المصدر السابق، ص227.

ذلك المدح أو الذم يفسر مدى اهتمام الشعراء بالأمور السياسية في عهد بني أمية في الأندلس، خاصة أوقات الشدائد والمصائب كان الشاعر يقف باكيا راثيا داعيا للحكام بالرشاد:

ماذا أومل أن أمية دعت وبقاء سكان البلاد بقاؤها
غيث البلاد هم أمراؤها سرج يضيف الدجى أظلام ضياؤها
فلئن أمية دعت وتتابعت لغواية حميت لها خللفاؤها
ليود عن من البرية عزها ومن البلاد جمالها ورجاؤها
ومن البلية أن بقيت خلافهم فراد تهجيك دورهم وخلاؤها[1].

وهذا من دلائل العزة والنفوذ لدى الأمويين، فحتى الحكام الأمويين كانوا رجال علم وحضارة منهم المستنصر الذي كان عالما مشاركا في علوم عصره ومتقن للعلوم الإسلامية، أنشأ في قصره مكتبة من أكبر المكتبات بالدول الإسلامية في العصور الوسطى تضم مفهرسين ومسجلين، كما أنشأ مصنع خاص بالتجليد ونتيجة لذلك نهضت صناعة الورق نهضة كبرى واشتهرت بلاد الأندلس بورقها الجديد مثل بلنسية، طرطوشة وشاطبة، كما نشأت في قرطبة وغيرها أسواق للرقاقين إلى جانب أسواق الوراقين والرقاق هو تاجر أدوات الكتابة[2].

كان الشعراء الأمويون يمدحون أبناء الأمراء في أبيات شعرية وهذا من مظاهر الاعتزاز بأبناء الأمراء، كمثال على ذلك لما ولد الهشام بن الحكم قام جعفر بن عثمان برثائه في خلوه فقال:

طلع البدر من حجابه واطرد السيف من قرابه
رجاءنا وارث المعالي ليثبت الملك في نصابه
بشرنا سيد البرايا بنعمة الله في كتابه
لو كنت أعطي البشر نفسي ثم أقصى حقا لما أتى به[3].

[1]- شاهر عوض كفاوين: المرجع السابق، ص25.
[2]- حسين مؤنس : ص ص 383-385.
[3]- بن عذارى المراكشي : المصدر السابق، ص227.

2- الدولة العامرية ونكبة سقوط قرطبة.

سنة 365هـ ظهر **محمد بن أبي عامر** كقائد للشرطة في خلافة حكم المستنصر، واستمر في عهد هشام الحكم المؤيد بالله[1]، واستطاع أن يتولى الأمور في قرطبة حتى غدا هو الحاكم الفعلي وهذا يعتبر بداية لعهد جديد ولدولة جديدة خاصة بعد أن أصبح أبناؤه يتوارثون الحكم بعده، خلفه **المظفر** ولده ثم **عبد الرحمن** الملقب **بشنجول** هو الذي أخذ ولاية العهد من هشام المؤيد لتبرز إلى الوجود الدولة العامرية، لكن الأموي محمد بن هشام قلب الطاولة على عبد الرحمن العامري ودخل قرطبة وتنازل له المهدي على الخلافة وقام بقتل شنجول 399هـ وهنا انتهى نفوذ بني عامر في قرطبة التي اشتعل فيها صراع داخلها بعد ظهور أموي آخر وهو **سليمان بن حكم الناصر المستعين بالله** هذا ما فسح المجال أمام النصارى بزعامة شانجه بن فرديناند اللذين دمروا قرطبة وقتلوا ما يفوت ثلاثين ألف ورثاء قرطبة المنكوبة يقول بن شهيد الأندلسي:

ما في الطـول من الأحبـة مخبر فمن الذي عن حالها تستخبر

لا تسـألن سـوى الفـراق يبنـيك عنهم أنجدوا لم أغدوا

جـاز الزمـان علـيهم فتـفرقـوا في كـل ناحية مـاد لأكثر

جرت الخطوبة على محل ديارهم وعليهم فـتغيرت وتـغيروا[2].

بينما يقف ابن شهيد الأندلسي وقفة حزن عن ما حل بقرطبة خاصة أنه ذاق حلاوة العيش فيها أيام حكم بني عامر في القصور حيث يقول عن الدولة العامرية:

فلا مثل قرطبة يقل بكاء من يبكي بعين دمعها متفجر

دار أقـال الله عـثرة أهـلـها فتـبربروا وتـغربوا وتمصروا

[1]- طارق سويدان: المرجع السابق، ص218.

[2]- شاهر عوض الكفاوين : المرجع السابق، ص ص 192-194.

في كـل نـاحـية فريق مـــنهم مـتفـطر لفـراقها مـتجـبـر

عهدي بها والشمل فيها جامع من أهلها والعيش فيها أخضر

ورياح زهـورها تـلوح عـليهـم بـروائـح يفـتر منـها العـنبر

والدار قد ضرب الكمال رواقه فيـها وبـاع لنقص فيها يقصر

والقوم قد أمنوا تغير حـسنـها فنـعـموا بجـمـالها وتـآزروا

يا طيبهم بقصـورها خدورها وبـدورهـا بـقصورها تتخدر

والقـصر قصر بني أمـية وافر من كـل أمر والخـلافـة وافر

والـزاهرية* بالمـراكـب تزهـر والـعامـرية بالكواكـب تعمر

والجامع الأعلى يفض بكل من يتلوا ويسمع ما يـشاء وينظر

ومسالك الأسواق تشهد أنها لا يستقبل بسالكيها المحشر[1].

النفوذ والقوة الأموية في الأندلس وراءها عدة عوامل، أبرزها ضبط الأمراء الأمويون لأمور المجتمع الأندلسي باختلاف طبقاته وأجناسه، من الناحية العمرانية والحضارية أبرز المعالم جامع قرطبة إلى جانب دار ضرب سك النقود الإسلامية والاهتمام بالعلوم الإسلامية وشجعوا العلم والعلماء وعلى تطويره من خلال جلب العلماء إلى الأندلس من مختلف ربوع الإسلام.

بعدها تحولت الإمارة في الأندلس إلى خلافة على يد عبد الرحمن الناصر 316هـ، وخلالها بلغت الأندلس أقصى ازدهارها ونفوذها وقوتها السياسية والحضارية والدليل على هذا القوة هو سعي النصارى إلى كسب ولاء الأندلسيين، يقول ابن خلدون **"....ومدت إليهم الأمم النصرانية**

---

* - **الزاهرية:** وهي العامرية من مدن الدولة العامرية أحرقها البربر 403هـ في فتنة قرطبة ينظر، بن عذارى المراكشي، ج3، ص101.

[1] - شاهر عوض : المرجع السابق، ص195.

من وراء الدروب يد الإذعان، وأوفدوا عليهم رسلهم وهداياهم من روما والقسطنطينية في سبيل المهادنة والسلام..." وبن أبار يقول أذعن النصارى للناصر ورغبوا في مصاهرته[1].

بالتالي يمكن القول أن الأمويون استطاعوا وضع أقدامهم في الأندلس بل واستطاعوا فرض هيمنتهم وسيطرتهم وطرد الأعداء من مسلمين ونصارى، لهذا تحركت أقلام الشعراء الأمويون تمدح انتصارات بني أمية وتصف مدنهم وقصورهم في الأندلس، ومن جهة أخرى إذا وقعت نكبات ترثيها تلك الأقلام بل وتعاتب الحكام باعتبارهم السبب الأول في تلك النكبات لهذا كان الشاعر الأموي يشحن الهمم بشعره ويقدم الوعظ وهذا يدل على الدور الكبير الذي كان يقوم به الشاعر ويدل على مدى اهتمام بني أمية في الأندلس بالشعر واستعماله كأداة للحث على الجهاد.

[1]- شاهر عوض : المرجع السابق، ص ص 186-187.

الفصل الأول:

شعر النكبات في الأندلس

المبحث الأول : تعريف النكبات في الأندلس

المبحث الثاني: أسباب النكبات

المبحث الثالث: شعر الرثاء(الهدف منه وحريته)

المبحث الرابع:أهم الشعراء الذين تعرضوا للنكبّات

المبحث الأول : تعريف النكبات في الأندلس

يطلق مصطلح النكبة على كل المآسي الفردية والجماعية، وعلى الفجائع التي تصيب مظاهر الحضارة والعمران.

أ- لغة: المصيبة من مصائب الدهر واحد نكباته، والنكب كالنكبة وجمعه نكوب، ونكبه الدهر ينكبه نكبا ونكبا. بلغ منه وأصابه بنكبة. يقال : نكبته حوادث الدهر، وأصابته نكبة ونكبات نكوب كثيرة[1].

ب- اصطلاحا: تكرر استعمالها في الشعر لتعبير عن مجرد الفجيعة أو الدلالة على المصيبة التي تحل بالفرد و الأقوام ،ومما جاء في الشأن الفردي أو الأسري ما قاله صريع الغواني متحدثا عن ديونه التي أثقلت كاهله فنكبته :

إن رماني الدهر سنة بنكبه حتى حملت من الديون ثقالا.

ومثله شمانة ابن الرومي بالوزير إسماعيل بن بلبل[2] وتشفيه منه لما نكبه الموقف:

فلئن نكبت لطالما نكبت بك همة لجأت إلى سندك[3]

والنكبات تتعدد مصادرها و تتنوع فيحي بن علي المنجم[4] يرى في مصاب أسرة الموقف بأمة نكبة وهو يعزيه بهذه المصيبة التي سيشرب من كأسها الناس جميعا:

فما الناس إلا اثنان: معقور نكبة قد انصرمت أو سالم سوف ينكب

---

[1] - ابن منظور، لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، مج1،(د.ط)، دار صادر، بيروت، (د.ت)ص 97.

[2] - إسماعيل بن بلبل أبو الصقر أحد وزراء الخليفة المعتمد ، أنظر: معجم أنساب لزامباور، ج1، مطبعة جامعة فؤاد الأول، مصر،1951م،ص7.

[3] - زكي مبارك، زهر الآداب وثمر الألباب للحصري، ج1، مكتب المحتسب، عمان، ط4، 1972م،ص315.

[4] - يحي بن علي المنجم(241-300هـ)، بغدادي أديب متكلم، نادم الموقف وآخرين من الخلفاء، أنظر: الزركلي، الأعلام، ج4، دار العلم للملايين، د ط، د ت. ص159.

كما استخدمت لتصوير المآسي الجماعية التي عصفت ببعض المماليك و الأقوام و التعبير عنها أيضا، فالشاعر الجاهلي ذو وجدن الحميري[1] مستعملا (النكبة) وهو يتحدث عن مصير قومه من قصيدة تعتبر واحدة من قصائد نكبات الممالك و الأقوال يقول :

فكيف أبكيهم دائبا وكيف لا يذهب نفس الهلع

من نكبة حل بنا فقرها جرعنا ذا الموت منها جرع[2]

_و تأتي (النكبة) أحيانا للتعبير عما يمكن أن يصيب الأمة كما جاء في مدح العتاهية للخليفة الرشيد (170 -193هـ)

إدا نكب الإسلام يوما بنكبة فهارون من بين البرية ثائرة.

وبالتالي أصبحت وصفا لما حل بالبرامكة على يد الرشيد سنة 187هـ ومن المعلوم أن حركة الرشيد الاصطلاحية التي اصطلح على تسميتها بنكبة البرامكة[3] أصابت بعضهم وبعض أتباعهم في بغداد وغيرهم.

المبحث الثاني: أسباب النكبات:

من الأسباب التي أدت إلى حدوث الكوارث المتمثلة بسقوط الدول ودمارها، المدن ووقوعها في يد الأعداء من الثائرين والكافرين وما يتبع طلك من ويلات وآلام، ولكن الملاحظ أن ما يذكرونه من أسباب عامة تكاد تتشابه في إطار العام إلا في النادر، فهل كان الشعراء لا يدركون حقائق الضعف السياسي وخيانة الحكام وضعفه وما إلى ذلك؟

الواقع أن الشعراء كانوا من أعلم الناس بما يدور في مجتمعاتهم فقد كان منهم الوزراء والسفراء، وخدم البلاط ولكن جبروت الحكام وشدة نقمهم على الناقدين والمعارضين، جعلت الشعراء يجنحون إلى جعل العين، والمعاني والمقادير هي سبب السقوط والدمار حيث يقول الوراق:

[1] - الحميري علي بن زيد بن قحطان، شاعر جاهلي لقب ذو دوجدن لحسن صوته، أنظر: السجستاني، تح: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب، القاهرة، ص43.

[2] - محمد حمدان، أدب النكبات في التراث العربي ، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004، ص10.

[3] - ابن النديم، الفهرست، ، تق: يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص97.

بكيت دما على بغداد لما فقدت ضارة العيش الأنيق

أصاربتها من الحساد عين فافنت أهلها بالمنجنيق

فالشاعران يبكيان بغداد في فتنة الأمين والمأمون، وسبب الفتنة معروف ومشهور، وهو الطمع في الاستنصار بالخلافة من أجل المصالح الشخصية الذاتية، دون النظر في ما يجده ذلك على الأمة فكانت تدمير عاصمة الخلافة بغداد، وقتل الآلاف من الأبرياء، وتشرد الكثير من مختلف فئات الناس، وعندما ذكر قول في صور الشاعرين حملا العين الحاسدة تبعت ذلك كله على سبيل الاعتبار والعطل من زوال الأشياء[1]. ولم يوجها اللوم لأي من الطرفين المتنازعين طلبا للعامة ولم يفعلا كما فعل الحريمي حين قال في الموقف نفسه وضع الحقيقي الذي أشعل الفتنة:

فلم يزل والزمان ذو غيري يقدح في ملكها أصا عزها

حتى تساقت كأس مثمنة من فتنة لا يقال عائرها

وفترقت بعد ألفة تتبعا مقطوعة منها أواصر

ياهل رأيت الاملاك ما صنعت وإذ لم يرعاها بالنصح زاجرها

أورد إملالا لنفوسهم هوت في أعين مصادرها

متاضرها لوقت بومثقها واستحكمت في التقى بصائرها

فهو هنا يصرح بالسبب المباشر الذي شهده هو وعلمه الناس جميعا من قولهن وهو مجافاة الحكام للتقوى ، ضربهم بالمواثيق المبرمة عرض الحائط مع عدم وجود الناصحين المخلصين، فكل حاكم كانت بطانته توضح لنا أنه أحق بالأمر من صاحبه، فجزء كبير من مسؤولية بيان الحقيقة إذا يقع على الشاعر نفسه وقل من يفعل ذلك منهم، كذلك الشاعر يذكر سبب آخر وهو سبب المعاصي التي تمادى الناس في ارتباكهم لها فعاقبتهم لله تعالى، ولعله قصد بذلك إشراك الرعية مع الحاكم في الإفساد وجلب المصائب حتى يخف النقمة عليه كذلك من الأسباب التي ذكرت، تتابع

[1] - شاهر عوض الكفاوين، الشعر العربي في رثاء الدول والأمصار حتى نهاية سقوط الأندلس، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية،ص548.

الأحداث المأساوية فقد ظلت الحروب مشتعلة بالأندلس على مدى خمسة قرون تقريبا، يتخللها فترات سلام مؤقت ما دام الملوك هم المسيطرون ولا تلبث الحرب أن تعود خدعة عندما يجد النصارى من أنفسهم قوة تمكنهم[1]، من الهجوم على المسلمين.

فكانت الحروب تصطبغ بالصبغة الدينية الخالصة، فهي تطاحن من أجل البقاء بين العقيدتين الإسلامية والنصرانية كذلك نجد معاني الإسلامية هي أهم ما يتفجع عليها الشاعر ويتأسف كالمساجد التي سرعان ما تحولت إلى كنائس، تنص على محاربيها الطيات المعدة، فهذا الأمر لم يوجد في شعر المشرق بهذه الصورة إلا حينما سقط بيت المقدس وفعل الصليبون به تلك الأفاعيل المعهودة عنهم، أما التتار فهم جيش مليكه وتدمير وليس لهم عقيدة ينشرونها[2].

إنما معظم المؤرخين الأندلسيين الذين أوردوا لنا الأشعار التي قبلت في رثاء الأندلس هم أدباء وشعراء في الوقت نفسه، فقد انم زجوا في الحوادث التاريخية في الأدب مزجا يشعر القارئ بتفاعلهم مع الأحداث التي أوفوها حقها من التحليل الدقيق كفعل ابن بسام صاحب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، وابن سعيد صاحب المغرب في حلى المغرب، ولسان الدين ابن الخطيب صاحب الإحاطة في أخبار غرناطة وغيرهم الكثير والكثير.

الصراع بين الملوك الأندلسيين صار بينهم نزاع بين الأمراء البيت الحاكم في الدولة الموحدية جعل المستنفذين من أشياخ الموحدين وكان القوات العسكريين يتدخلون في اختيار الحكام منذ وفاة المستنصر، ولما كانت الخلافة قد استقرت في بني عبد المؤمن فقد عهدوا في توليت حكام ضعفاء صغار السن مقعدي الشيخوخة أو الباحثين عن ملذاتهم.

ومنذ وفاة الناصر استبد هؤلاء الأشياخ بالأمور، فدفعوا للخلافة من شانوا وخلعوا من كرهوا، وقتلوا من أرادوا وسار أمرهم كالأتراك مع بني العباس[3].

---

[1] - شاهر عوض الكفاوين، المرجع السابق، ص465.

[2] - شاهر عوض الكفاوين، المرجع السابق، ص466.

[3] - علي محمد الصلابي، دولة الموحدين، عمان، دار البيارق للنشر، 1998، ص226.

إن هذا الخلاف الشديد والنزاع الذي استحكم بين أبناء عبد المؤمن، وظهور خلفاء ضعفاء وتحكم أشياخ الموحدين على العاصمة، ونشوب الفتن فيها جعل ولاة الأقاليم يستبدون بولايتهم وانفصل بعضهم نهائيا عن مراكش[1].

كذلك من أسباب النكبات لدينا ثورة ابن غانية وهم من بقايا المرابطين حيث قامت الأصول العقدية والأس الفكرية التي قامت عليها دولة الموحدين والتزمت بأصول من نهج أهل السنة والجماعة كذلك ثورات الأعراب التالية حيث إن قبائل بني سليم وبني هلال سكنت إفريقيا والمغرب الأوسط وبعد ذلك المغرب الأقصى لا تنتظر إلا مصالحها فأحيانا تحالف مع بني غانية ومع قرقوش التقوى فكانت من الأسباب التي فجرت الثورات الداخلية والتي ساهمت في الإفساد والدمار ولقد قدم الأعراب البدر إلى المغرب الأقصى أيام المنصور الموحدي عام 584هـ ومنذ وفاة المستنصر سنة 620هـ أصبحوا يتدخلون في شؤون الدولة ويرهقونها بطلباتهم ويعملون يدورهم على غزل وتولية بعض الملوك ومن هؤلاء أعراب بن معقد، وبنو جابر ولهؤلاء دور هام في تعريف قسم من سكان المغرب على سواحل الأطلسي بمصاهرتهم لبربر، والاحتكاك بهم.

ثورات الأندلس ضد دولة الموحدين، ومن أشهر ثورات ثورة محمد بن مردنيش الذي لم يتم القضاء عليه إلا بعد ربع قرن من تحالفه مع النصارى لم يبالي ابن مردنيش أن يتحالف مع النصارى من أجل البقاء على نفوذ الموحدين في الأندلس[2].

إن طبقة الفقهاء والقضاة كانوا سببا نوع من الثغور و الفراغ عند الناس لمعرفة دينهم، وهو الخلاف حول كتب الغزالي مما أدى إلى انعكاس هذا الجدل بعضه على المغرب، وقد تطلع إلى ما هو أهم وهو تعبئة الناس للجهاد، ورد على ذلك النصارى،وقد ضعف هؤلاء الفقهاء في أن يكونوا قدوة حسنة. كذلك لم يتخذوا موقفا بارزا في مهاجمة المرابطين، بل قل إنهم لم يجدوا ما يقولونه في حقهم، فلم يكن غرضهم واضح، فلم يكونوا إلا نفرا من الطامعين في السلطان والأموال والغنائم، وتلاشوا

[1] - علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص227.

[2] - علي محمد الصلابي، نفسه، ص223.

من الوجود بمجرد نزول الموحدين[1]. ومن الأسباب الأخرى هو التسامح الشديد، ولم يعرف عن المرابطين أنهم أمروا بقتل مشاغب وكان أقصى عقاب هو الاعتقال الطويل، وكل ما فعله أمير المسلمين هو من أجل هؤلاء المشاغبين إصدار خطاب موجه لأهل غرناطة يقول فيه: " فإذا وصل إليكم خطابنا هذا فاتركوا سابقة الهوى، واسلكوا معه الطريقة المثلى، دعوا التنافس على حطام الدنيا، ليقبل كل واحد منكم ما يعنيه، ولا يشغل بما ينصبه ويعينه". ولو كان هذا التشغيب حدث في عهد الموحدين لما كان عليه الجميع.

- وقد وصف بعض المصادر أن معاملة الموحدين للقبائل التي أجبروها على الخضوع له

ولاشك من أهم الأسباب في نجاح دعوة ابن تومرت أنه اشتغل عصبية القبائل المصمودة ضد قبائل المرابطين الصنهاجية، وهذا راجع إلى الاختلاف في نمط الحياة، وهذا من المصادر توضح لنا أن المرابطين لم يصدروا أملاك مصمودة بسبب تحالف هذه القبائل معهم ضد قبائل تأته، مما ساعد الملامين على تسيير مهمتهم في اجتياح إقليم السوس الأقصى[2].

[1] - عصمت عبد اللطيف دندش ، في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف، دار الغرب الاسلامي، ص45.

[2] - نفسه، ص36.

المبحث الثالث: شعر الرثاء(الهدف منه وحريته)

ويقال له التأبين أيضا، وإذا كان المدح هو الثناء على الشخص في حياته، فإن الرثاء التأبين هو لثناء على الشخص بعد موته، وتعداد مآثره، والتعبير عن الفجيعة شعرا، وشعر الرثاء إنما يقال وفاء ّ ، والشاعر يقضي بقوله حقوقا سلفت، ويبدي من التفّجع والحسرة والأ لم والاستعظام ما يدل على حجم المأساة التي حلّت عليه، فيذكر صفات المرثي مبللة بالدموع[1]. وباعتبار أنّ المرثي هو الأساس فيه؛ فإنّنا نجد نوعا جديدا من الّرثاء قد ظهر في العصر الأندلسيين وازدهر في عصر بني الأحمر، وهو رثاء المدن،÷ فالحبيب الذي فقد هنا هو الوطن، وهذا جاء بسب تفرق المسلمين وضياع كلمتهم، وتراجع بداياته منذ سقوط مدينة طليطلة، وهي أول مدينة يستعيدها النصارى سنة 478هـ[2].

- والأندلسيون لا يختلفون في مراثيهم عن المشاقة في رثاء الميت والتفّجع عليه، بيد أنهم تفوقوا رثاء

المالك البائدة، لما في نفوسهم محبة، فكان يشجوهم أن يروا بلادهم تسقط بلدا إثر بلد أيدي الغرباء ويعتبر رثاء المدن من المراثي السياسية، ولهذا اللون الشعري اتجاهان ، اتجاه يقف وسطا بين البكاء والاستنجاد، فهو سلبي ذو نفس انهزامي ، وهؤلاء صوروا شعور مواطنيهم وعبروا عنه بالدمع أحيانا، وبالدمع والاستنجاد أحيانا أخرى ، إلا أن معظمه مالوا إلى البكاء وذرف الدموع على الأطلال.

غير أن الاتجاه الأخر تمثل بحثّ الشعب الأندلسي على مقاومة العددان والاستبسال بالذود عن الوطن، لأنهم رأوا في المأساة قضاء على الكثير منهم من خلال المذابح والأوضاع التي حلت بهم. ومسا لأرضهم التي أحبوها[3].

---

[1] - أيمن يوسف إبراهيم جرار ، الحركة الشعرية في الأندلس(عصر بني الأحمر)، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس، فلسطين، ص93.

[2] - ابن الخطيب(لسان الدين)، عصره، بيئته، حياته ومآثره، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1994م، ص17.

[3] - الطويل يوسف، مدخل لإلى الأدب الأندلسي، ط1، دار الفكر ، بيروت، 1991م، ص206.

وجاءت ثورة هذا الشعر يوم سقوط اشبيلية بيد الأسبان في عام 646هـ، حيث دّبت موجة من

الغضب في صدور معظم الشعراء، ورافقهم هذا الشعور بفقدان الأمل بقدرة الحاكم على الصمود واسترجاع المدن الضائعة، وبدا هذا واضحا عند أبي البقاء الرندي.

فهو يصف ما حل بديار الإسلام من فقد تبدل الكفر بالإيمان، وحلت الكنائس مكان المساجد، حيث يقول:

تبكي الحنفية البيضاء من أسف كما بكى الفراق الإلف هيمنا

على ديار الإسلام خالية فقد أفقرت ولها بالكفر عمران

حيث المساجد قد صارت كنائس ما فيهنّ إلا نواقيس وصلبان[1].

ونرى أن بكاء جاء مصحوبا بدعوات الاستنجاد الممزوجة بالعتاب والتقريع والتوبيخ لمن يرى حال الأندلسولكنّه يبقى ساكنا دون حراك ولعلّه قصد في هذا ملوك المغرب من بني مرين، فهو يدعوهم لنصرة إخوانهم في الدين، يقول:

ماذا التقاطع في الإسلام بينكم وأنتم يا عباد اللّه إخوان

ألا نفوس أبيات لها همم أما على الخير أنصار وأعوان[2].

واستطاع الشاعر من خلال هذه الأبيات ، أن يبيّن هزيمة المسلمين ،وتخلص في فرقتهم، وهو في نفس الوقت توجد الحلول المناسبة ،و التي تكمن في الوحدة الإسلامية .

_ و لهذا حاول الشعراء في مراثيهم أن يثيروا العاطفة الدينية عند عامة الشعب ،فهي تجمع المسلمين باختلاف عروقهم عن العرب و البربر و غيرهم ،و لهذا جاءت الصورة مكررة وتكاد أن تكون واحدة،وهي صورة تحويل المسجد إلى كنيسة،ومنهم من أراد أن يعطي الصورة نوعا من المشاهد المؤثرة،والتي تدل على حجم المصاب الذي حلّ بالمسلمين،ويعبّر عن بالغ الحزن لما جرى لهذه

[1] - المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، تح: احسان عباس، ج5، (د.ط)، دار صادر، بيروت،(د.ت) ص374.

[2] - المقري، المصدر السابق،ص ص 374- 375.

المساجد،ويريد من هذا أن يظهر للمسلمين مدى حقد الأسبان نحو المسلمين في البلاد الذي سيطروا عليها من خلال إدخال الخمر و الخنزير إليها،يقول عمر بن المرابط :

_كم جامع فيها أعيد كنيسة فاهلك عليه أسى فلا تتجلّد

_ القسّ والناموس فوق منارة والخمر الخنزير وسط المسجد[1]

وما نستشفه من قوله إنّ الحرب التي دارت في تلك البلاد كانت حربا أساسها الدين وخير دليل على هذا القول، ما فعله الأسبان بالمسلمين بعد السقوط[2] .

_أما رثاء المدن،فنجده يسير ضمن الإطار التقليدي الذي سار عند المشارقة،فهو لم يأتي بشيء جديد على نحو ما حصل في رثاء المدن،فنرى رثاء الأبناء والأصحاب والملوك وغير ذلك،ومن رثاء الأبناء ما جاء عند محمد بن عمر بن محمد بن رشيد الفهري في رثاء ابنه الذي توفي بغرناطة، ونلحظ في رثائه الحزن الذي ألم به، فالوفاة جاءت في رعيان الشباب، ومات كما تموت الأزهار وهي في قمة عنفوانها يقول:

شباب ثوى ثابت عليه المفارق وغصن ذوى تاقت إليه الحدائق

على حين راق النّاظرين بسوقه رمته سهام للعيون رواشق[3].

أ- شعر الرثاء:

ظهر شعر الرثاء من خلال الموضوعات التي تناولها ابن اللبانة في شعره التي نظمها إلى بني عباد، حينما أودع المعتمد سجون أعمات بإفريقيا، أخذ بعض الشعراء يندبون العز الزائل والمجد الراحل ومنهم ابن اللبانة، وقد أفاض بنظم أشعاره. وله قصيدة في التفجع على مصير آل عباد ورثاء أيامهم منها[4]:

---

[1] - ابن خلدون، المقدمة، تح: عبد الرحمن درويش، ج2،ط1، دار البلح، دمشق، 2004.، ص ص 194-195.

[2] - أيمن يوسف إبراهيم جرار، الحركة الشعرية في الأندلس، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، د ت، د ط. ص95.

[3] - ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3، ص105.

[4] - ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، ص156.

تبكي السماء بدمع رائح غادي على البهاليل من أبناء عباد
على الجبال التي هدت قواعدها وكانت الأرض منهم نحت أوتاد
وكعبة كانت الآمال تعمرها فاليوم لا عاكف فيها ولا باد
يا ضيف أقفر بيت المكرمات فخذ في ضيم رحلك وأجمع فضلة الزاد
وأنت يا فارس الخيل التي جعلت تختال في عد منهم وأعداد
ألق السلاح وحل المشرقي فقد أصبحت في لهواة الضغن العادي.

وقف ابن اللبانة على قبر المعتمد ابن عباد وانشد بصوت عال[1]:

ملك الملوك أسلع فأنادي أم قد فداك عن الجواب عوادي
لما خلت منك تال قصور ولم تكن فيها كما قد كنت في الأعياد
فمثلت في هذا القرى لك خاضعا واتخذت قبرك موضع الإنشاد

وما نستشفه من خلال هذه الأبيات التفجع الذي أصاب بني عباد جملة، وصف خلو اشبيلية والأندلس منهم وصف لحظات هزيمة المعتمد، وصيرورته مع أهلهن كذلك التآسي ما أصاب العباسيين من مآس ونكبات[2].

في هذه الأبيات يتحدث ابن اللبانة على إبراز الفجيعة في إطارها الجماعي، فصور موكب الحزن مهيبا على نحو يتفق مع عظمة الملك وجلال الموقف. إذ أن الناس محتشدون على شاطئ النهر يرون ذلك الموكب بحسرة وقد انطوى على أولئك الذين هم من عليائهم، فإذا هم أحياء ولكن كالأموات، تحملهم تلك السفن وكأنه النعوش في مأتم صامت[3].

[1] - الدقاق عمر، ملامح الشعر الأندلسيين بيروت، دار الفكر، د.ت، ص280.
[2] - ابن الأثير، المصدر السابق، ص177.
[3] - عوض محمد أسعد الدوري، ابن اللبانة الأندلسي، جامعة تكريت، كلية التربية، سامراء، مج3، ع7،ص41.

المبحث الرابع:أهم الشعراء الذين تعرضوا للنكبّات

لقد تعرض عد من الشعراء لبعض المحن والفتن والنكبات مما كان له أثر سواء كانت هذه المحن في البدن الأولاد الأهل أو الأموال ومن أبرز الشعراء الذين امتحنوا ونكبوا في عصر ملوك الطوائف:

أ- **أبو عبداللّه بن الحنّاط الأعمى** : هو أبو عبد الله محمد بن سليمان "بن الحنّاط" القرطبي وأصابه العمى كبيرا من كثرة القراءة ومطالعة الكتب، كان ماهرا في علوم العربية، وفنون الأدب ملّما بالبلاغة، يجيد النثر والشعر، وقد توفي أواخر سنة 437هـ في الجزيرة الخضراء[1].

وتمثلت أبرز سماته في الجرأة على الناس. كما نفي قسرا وقهرا إلى الجزيرة الخضراء، وأمضى فيها بقية حياتوصاحبها كان محمد بن القاسم بن حمّود، وظل ابن الحنّاط بعيدا من بلده، يعاني آلام الغربة، ويحن إلى مرتاع صباهن ولما تولى ابن حزم جهور بن محمد بن جهور مقاليد الأمور سنة 422هـ ظن ابن الحنّاط أن الفرصة مواتية له، لأن أبا الحزم كان عالما بأحوال ابن الحنّاط، فظل هذا الأخير في منفاه في الجزيرة الخضراءوقد تميز نتاجه الشعري بعد أن طرد ابن الحنّاط من قرطبة، وحلّ بالجزيرة الخضراء قال[2]:

تفّرغت من شغل العدواة والظّغن وصرت إلى دار الإقامة والأمن
أمقتولة الأجفان من دمع حزنها أفيقي فإنّي قد أفقت من الحزن
فللّه سيري يوم ودّعت صحبتي زعاما[3]، ولم أفزع على ندم سنّي
رحلت عنكم من جؤرز وغضنفر يرّوي الثّرى من فضل أدمعه الهتن
وما عن قلت فارقت تربة أرضكم ولكنّني أشفقت فيها من اللّفن.

ومن هذه القصيدة يقول واصفا الّرحلة وما عاناه فيها:

[1] - ابن بسام الشنتريني،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، مج1، تحإحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت- لبنان، ص438.
[2] - ابن بسام، المصدر السابق، ص450.
[3] - زعاما: جزعا.

مررت بشوس، والنجـــوم كأنّها توقّد من فكـري، وتســرح من ذهني
وأسريت من بـدر الظّـلام بألبة بصحبة مطفي الجمر أو مكفئ الضغن
لبسنا بها ليـلا من الثلـج أبيضا كسـته الصــنبـــور ثوبا من الـقـطن
ولـما تـنكبّـنا المنـكـّب لم نجد لنا مـركبـا أهدى سبيلـا من السفّن
ترامت بنا الأهوال بنا في كل لجّـة تخيـلّها جـّوا تجـلّـــل بالـــدجـــن
ترى السفن فوق الموج فيها كأنها تحـــدّر من رعـــن، وتـــوفى على رعن.

فالشاعر يوضح لنا بوصوله إلى الجزيرة الخضراء قد انتهت العداوة، وبدا عهد الاستقرار والإقامة في تلك الدار الآفدة، ويعني بها الجزيرة الخضراء، وأن يدخل في روع كل سامع لأبياته هذه، وكنّى عن النساء، ثم قال: " ما فارقت قرطبة كارها لها ولا لأهلها، ولكنه فّر منها خوفا على نفسه من قتل محتوم، وهذه المعاني التي تناولها في معظمها معان مطروقة في قوله:" أمفتولة الأجفان....".

ولقد وصف الشاعر، رحلته من قرطبة إلى أرض الجزيرة الخضراء، مستعملا عناصر الطبيعة في معاناته فمثلا عندما مّر بمدينة شوس تخيّـل النجوم، وقد مّر بألبيرة، والمنكّب حيث ركب البحر من هناك.

ومن أثر للكبة أيضا ما كتب به ابن الحنّـاط إلى أبي الوليد عقب وفاة والده، وتوليه مقاليد الحكم سنة 435هـ، منتهزا تلك الفرصة ليعزيه. كما اعتمد نهج غيره من الشعراء المنكوبين في اللجوء إلى أسلوبهم الاسترحام والاستعطاف، وابداء الخنوع والخضوع[1].

وقد نظم قصيدة وهو في منفاه إلى الجزيرة الخضراء يقول:

أرقت، وقد غنى الحـمـام الهواتـف بـمنعـرج الأجـزاع والليل عاكف
أعدن لي الشوق القديم وطاف بي على النأي من ذكر المليحة طائف
وما الجانب الشرقي من رمل عالج بحيث استوت غيطـانه والنّـفائق
بأحسـن من أطـلال عـلة مـنظرا وإن درســـت آياتـه والمعـارف

[1] - فاضل فتحي، الفتن والنكبات الخاصة وأثرها في الشعر الأندلسي، دار الأندلس، ص ص 136-138.

خليلّي هل بالخيف للشمل ألفة فيأمن قلب من نوى الخيف خائف.

سقي عرصات الدّار كل ملثة من المزن تزجيها البروق الخواطف

كأن نثير القطر منها جواهر تفرقها للريح أيد عواصف

كأن ابتسام البرق فيها أين بدت سيوف علّي بالدماء رواعف.

فالأبيات تحمل معاني الشوق، والدعاء لديار الأحبّة باخير والشقيا، وأظهر تشيعه وهو يتحدث عن علّي أو أنه كان يريد منح علي بن القاسم بن حمّود الذي عاش في كنفه فترة غير قصيرة[1].

ب- حكم بن محمّد البكريّ:

من طبقة أبي بكر الوافي، عاش في كنف بني عبّاد، ويقول ابن بسام: " وأبو الحسن من شعراء الدولة العباديّة، لم تكن له رحلة لسواها، ولا قدم غير ذراها، ولما انجابت غيومها، وامّحت نجومها بخلع صاحبها خلع أبو الحسن صنعة الشعر خلع النجاد، وتبرأ منها تبرؤ العباديّة، من دعوة ذياد، إلا إلمام الطيف بعين الفرق....الخ[2].

ولّما نكب المعتمد، ودالت دولته، وحمل أسيرا إلى أغمات، أظلمت الدنيا في وجه أبي الحسن، واعتبر المحنة محنته، والنكبة نكبته، خصوصا شعر المدح، وتنكب الدهر للأعلام، وفيها يقول:

ألاحت للظلماء من دونها سدل عقيقة برق مثلما انتضى النّمل

ويقول فيها:

نكرت الدّنا والأهل فيما ليس لي بها عقوة آودي إليها[3] ولا أمل

وأفردني صرف الزّمان كأنني طرير من الهندي[4] أخلصه الصقل

فياليت شعري هو مقامي لينّة تصيخ لنجواها[5] المطّية والرّحل

---

[1] - فاضل فتحي، المرجع السابق، ص139.

[2] - ابن بسام، المصدر السابق، ص563. وأيضا : فاضل فتحي، نفسه،ص 141.

[3] - عقوة أوي إليها: محلّة اسكنها

[4] - طرير من الهنديّ: حدّ سيف هندي

[5] - تصيخ لنجواها : تسمع لهمسها

وسير يخلّي المرء منه قرينه فريدا كما خلّى تريكته الرّأل
فكم من حبيب كان روضة ناظري يرفّ ويندى بين أفتاها الوصل
ضحى ظلّه إذا كورت لي شمسه فشخص نعيمي لا يقوم له ظلّ
غبرت وبادوا غير أن تلبث ورءهم عيش يلذله القتل.
إذا كان عيش المرء أدهى من الّردى فعائدة الأيام دامية خبل
وللنّاس همّات تبحبح بالغتنى وإن كان جمعا ضمّه اللّوم والبخل
وإذا قنع المضطّر كانت بكفّه مقاليد لم يبهم لما أبدا قفل
ومن راد لم يعدم من الله نجعة ففي كل محل من غمامته وبل
رأيت النّهى في المرء فضلا يشفّه ولكّن من يحويه ليس له فضل
ومن ميّز الدنيا بتمييز أهلها تبيّن أنّ العقل مثل اسمه عقل
فياليت علمي فيهم أنّه عمى وحلمي الذّي أستقى به انه جهل
وطئت من الأيّام، أخشن جانب فهل لي منها جانب دمت سهلظ
ولكن من الأعداء شري ضغينة لبست بها هاذيّة مجنها النّحل
وقارعتهم حتّى فللت شباتهم بسورة عّز لا يكفكفها الذّل
ولكن صرف الدّهر قرن إذا سطا يخّر حفا فيه الفوارس والّرجل
حبست كما ضّم المهند غمده وقيّدت مثل القوم يضغطه العقل
وعّريت من مالي وما ملكت يدي كأني منه محرم ماله حّل
أرى أعين الأعداء بشر طلاقة وأوجه آمالي مقطبّة طحل
فمن لي بأني في جناح غمامة لها بارق نحو الأحبةّ منحل [1]

نلاحظ أن الشاعر قد وضع معانيه في الشكوى الصّارخة من الأيّام، وما أذاقنه من مرارة البين، وأنه لم يعد في عيشه لذة. كما نشير إلى أن وقع الفجيعة كان سببا في اضطراب أفكاره، فهو يشكو

[1] - ابن بسام، المصدر السابق، ص563.

ويفخر في آن واحد، وقد دفعته الفجيعة إلى هجر شعر المدح، وهذا دليل اخلاصه وشدة اعتزازه بنفسه بعد المعتمد.

ج- أبو مروان عبد الملك بن غصن الحجاري:

هو أبو مروان عبد الملك بن غصن الحّجاري من أهل وادي الحجارة تلقى علومه بالمشرق، ثم عاد إلى بلده، وكان أحد الأعلام في الآداب والتاريخ والتأليف[1]، كما كان فقيها أديبا شاعرا صاحب منظور ومنثور، وقال عنه ابن عبد البّر في رسالة أرسل بها إلى المعتضد عباد: " ...وإن ممّن استولى على الأمد الذي وصفته، وحوى قصب السبق فيما ذكرته، الأديب الكامل ابو مروان بن غصن الحجاري وهو كما علمت ممّن لا يجارى في ميدان ولا يطال بعنان، إن نظم فبنيان مرصوص، وإن نثر فلآلى وفصوص...."[2].

ولما عاد أبو مروان عبد الملك بن غصن الحجاري إلى وطنه بعد رحلته إلى الشرق حيث تلقى علومه هناك، وكان بارعا كثيرا في أنواع العلوم والأداب، ولرقة شعره وعذوبته، ولكنه فضل البقاء إلى جانب حاكم مدينة وادي الحجارة[3].

ولقد طمع المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة في الاستيلاء على مدينةالحجارة، مما أثار ثائرة أهل وادي الحجارة، ومنهم أبو مروان الذي انبرى يهجو المأمون بنذي النون، وممّا هجاه به قوله[4]:

تلقبّت بالمأمون ظلما، وإنني لآمن كلبا حيث لست مؤمنه

حرام عليه أن يجود ببشره وأما النّدى فاندب هنالك مدفنه

سطور المخازي ذو أبواب قصره بحجّابه للقاصدين معنونه

وغضب عليه المأمون حتى نكبهن فقام ابن غصن بإرسال رسالة إلى المقتدر بن هود يسأله فيها أن يكون شفيعا فيه عند المأمون.

---

[1] - المقري، نفح الطيب، ج3، ص223.

[2] - نفسه، ص 363.

[3] - فاضل فتحي، المرجع السابق، ص145.

[4] - المقري، نفسه، ص364.

وقد أرسل عبد الملك بن غصن الحجاري إلى ابن ذي النون من سجنه يسترحمه ويستعطفه بقوله[1]:

فديتك هل لي منك رحمى لعلّني أفارق قبرا في الحياة فأنشر

وليس عقاب المذنبين بمنكر ولكن دوام السّخط والعتب ينكر

ومن عجب قول العداة مثقّل ومثلي في إلحاحه الدّهر يعذر

وقد كتب أيضا وهو في السجن رسالة شعرية سماها رسالة السجن والمسجون" وأرسل بها إلى المأمون في قوله[2]:

يحي المليك الذّي به حيت نفسي وفازت بكّل ما اشتهت

لو حبست في الورى مواهبه لم يدخل حسّابها من الغلت

كذلك قوله:

قد اشرّد الشبّاب خلعته ونبهتني الخطوب من سنة

لولا أنني على فراشي لم يبد خيالي لعين ملتفت

ولو أتتني المنون تطلبني ما عملت موضعي ولا رأت.

ويشير في رسالته أنها تألف من ألف بيت لا يماثلها قريض آخر ، ولاشك أن نكبته قد كان لها صدى في شعره فالمعاني التي كرها تدور حول رحاها فمدحه (يحي بن ذي النون) وهو أسير لديه مكبل أغلاله، يخشى عقوبته[3].

[1] - المقري، نفسه،ص 424. وأيضا: فاضل فتحي، المرجع السابق،ص 146.

[2] - ابن بسام، الذخيرة، ج1، ص333.

[3] - فاضل فتحي، المرجع السابق،ص151.

د- الوزير أبو بكر بن عمّار الأندلسّي:

من الشعراء الذين نكبوا في عصر ملوك الطوائف نكبة لم ينج منها، الشاعر الكاتب الوزير[1] أبو بكر محمد بن عمّار بن الحسين بن عمار الشلبي الأندلسي، وقد نشا فقيرا، وتميز بطموحه، الغاية عنده تبرر الوسيلة، كذلك آمن بالصداقة بقدر ما تبلغه أهدافه التي ينشدها.

كان ابن عمّار شيطانا من شياطين الإنس ولذلك طرده المعتضد عبّاد من اشبيلية خوفا على ولده المعتمد، واستقر في سرقسطة حتى استدعاه المعتمد بن عباد إلى اشبيلية بعد وفاة والده، كما وصل به الأمر بالتمّرد على المعتمد نفسه، وذلك بعد استيلاء مرسّية باسمه، وقد اشتدّت العداوة واضطربت الأمور بينهما، لأنه هو الذي اقترح عليه الخروج إلى شرق الأندلس للاستيلاء على مرسية[2].

وكانت أول نكبة لأبن عمّار هي نكبة الطرد من اشبيلية التي تمثلت في فترة حياته صديقا للمعتمد، خير دليل على ذلك نظرته إلى المعتمد لأنه كان زمن الأمل الذي يوحي له بالصبر، ومن رسائله رسالة شعرية يكشف فيها عن أثر ما حدث في حياته، وما أحاط به من ذلّ بعد عزّ وأخذ يتذكر أيامه في اشبيلية، متخذا من مدحه مدخلا لمدح أبيه المعتضد، وهي الرسالة الشعرية يقول[3]:

علي وإلا ما بكاء الغمائم ... وفّي إلا ما نياح الحمائم؟
وعنّي أثار الّرعد صرخة طالب ... لثأر، وهذا البرق صفحة صارم
وما لبست زهر النجوم حدادها ... لغيري، ولا قامت له في مآتم
أسئلب؟ ولأنساب عبرة مشفق؟ ... وحمص؟ ولا تقتاد زفرة نادم[4].
كساها الحيا برد الشباب ؟ فإنها ... بلاد بها عق الشّباب تمائمي[5]

---

[1] - ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: احسان عباس، مج2، (د.ط)، دار صادر، بيروت، (د.ت).،ج2، ص425. وأيضا: ابن بسام، المصدر السابق، ص ص 368-433.

[2] - ابن بسام، نفسه، ص405.

[3] - فاضل فتحي، المرجع السابق، ص242.

[4] - زفرة: نفس حار.

[5] - برد: ثوب، عقّ: ردّ وخلع

ذكرت بها عهد الصبّا فكأنّما قدحت بنار الشّوق بين الحيازم[1]

ليالي، لا ألوي على رشد لائم عناني ولا أثنيه عن غيّ هائم

أنال سهادي من عيون ناعس وأجني عذابي من غصون نواعم

ويذكر ابن بسام[2] في هذا الصد إلى ما سباقه المعتمد بأسلوب آخر:" فلما بلغ ابن عّمار شعر المعتمد هذا، وقد بلغ من التنديد فيه الغاية، وتجاوز من السخرية عليه النهاية، قّل حدّ صبره، ولم يشكّ أنه من شعره، فشاعت في أشعار عزيت إلى ابن عّمار، في القدح المعتمد، منها قصيدة أولها[3]:

ألا حّي بالغرب حيا حلالا أنا خووا جمالا وحازوا جمالا

وعّج بيومين أّم القرى وتم فعسى أن تراها خيالا

لتسأل عن ساكنيها الّرماد ولم تر للنارّ فيها اشتعالا

وقد عّض ابن عّمار في هذه القصيدة بالمعتمد، وزوجه اعتماد الرمي كية وأولادها تعريضا فاحشا ومنه:

تخيرتها من بنات الهجان رمي كية ما تساوي عقالا

فجاءت بكل قصير العذارى لئيم النّجارين عّما وخالا

قصار القدود ولكنّهم أقاموا عليها قرونا طوالا

ثم يفحش في القول المعتمد، ويرميه بالسوء والقهر بقوله:

أتذكر أيّامنا بالصبا وأنت إذا لحت كنت الهلال

أعانق منك القضيب الرطيب وأرشف منغميك ماء زلالا.

[1] - الحيازم: جوانب عند العنق، أنظر: فاضل فتحي،المرجع السابق، ص243.

[2] - ابن بسام، المصدر السابق،ص 414.

[3] - المقري، نفح الطيب،ج4، ص ص 212- 213.

وردّكيد الساعين عليه في نحورهم هؤلاء الذين يحاولون توسيع الهّوة بينه وبين المعتمد، وتعميق الفجوة، وفي هذه القصيدة يقول[1]:

سجاياك إن عافيت أندى وأسمح وعذرك إن عاقبت أجلى وأوضح
وإن كـان بيـن الخطـتّين هزيّـة فأنت إلى الأدنى من الله أجنـح
حنان في أخـذي برأيك لا تطع عداي ولو أثنوا علّي وأفصـحوا
وماذا عـسى الأعداء أن يتزيّـدوا سوى أن ذنبي واضح تـصـحح
نعم لي ذنب، غير أن لحكمهم صفاه يزل الذنب عنها فيسفح
وإن رجائي أن عـندك غـيرها يخوض علّوي الـيوم فيه ومرح
ولم لا، وقد أسلفت ودا وخدمة يكران في ليل الخطايا فيصبح؟
أقـلني بما بـيني وبينك من رضا له نـحو روح اللّه بـاب مفتـح
وغـق على آثار جـرم جنيته بنفحة رحمي منك تمحو وتصفح
ولا تلتفت رأي الوشاة وقولهم فـطلل أنابا الذّي فيه بنـضـج
ومـا ذاك إلاّ مـا عملت فإنني إذا ثبت لا أنفك أسـو وأجـرح
كـأني بـهم لأدر الله دّرهـم أشاروا تجاهي بالشامات وصّرحوا
وقـالوا: سيجزيه فلان بفـعله فقلت: وقد يعفو فلان ويصـفح
ألا إن بطـشا للمـؤبد يتقى ولكـّن حلـما المـؤيـد أرجـح
وبيـن ضلوعي من هـواه تميـمة ستنـفع لو أنّ الحـمـام مـجلّح[2]
عليه سلام كيف دار به الهوى إلّى فـيـدنـوا أو عـلّي فيـنزح
ويهـينه إن متّ السلوى فإنّني أموت ولي شوق إليه مبر ّح.

[1] - المراكشي،المعجب في تلخيص أخبر المغرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ت ، ص85. وأيضا: ابن بسام، المصدر السابق، ص420.

[2] - مجلّح: منحسر مستبعد عنه.

الفصل الثاني:

النكبات في عصر ملوك الطوائف

المبحث الأول: نكبة بربشتر ونكبة طليطلة

المطلب الأول: نكبة بربشتر:

المطلب الثاني: نكبة طليطلة:

المبحث الثاني : نقص النكبات في عهد المرابطين و الموحدين

المطلب الأول: نقص النكبات في عهد المرابطين

المطلب الثاني : نقص النكبات في عهد الموحدين

المبحث الأول: نكبة بربشتر ونكبة طليطلة:

المؤرخين حين يكتبون على وقائع كنكبة بربشتر ونكبة طليطلة فإنما يكتبون الوقائع وعليها ثوب من رؤيتهم وتحليلهم وتفسيرهم لها، ولا شكَّ أن المؤرخ بشٌر يناله النقص والخطأ وعدم الاستيعاب، ولئن كان تاريخنا الإسلامي قد تميز بوجود مؤرخين لا يترددون في أن يذكروا للشخصية العظيمة مثالبها، وأيضًا يذكرون للشخصية السيئة محاسنها، فإن هؤلاء المؤرخين -أيضًا- ما زالوا بشرًا، تُؤثِّر صياغاتهم ومواقفهم وميولهم على التحليل والتفسير للوقائع التاريخية.[1]

لكننا اجتهدنا ما وسعنا الجهد في التقريب والتفسير والترجيح بين ما تعارض من الروايات التاريخية، محاولين إلى تطرق في مطلبين كالآتي :

المطلب الأول: نكبة بربشتر:

تقع بَرْبَشْتَر Barbastro على بعد 60 كم شمال شرق سرقسطة (الثغر الأعلى في بلاد الأندلس)، على فرع صغير من أفرع نهر إبره بين مدينتي لاردة ووشقة، وبربشتر إحدى القواعد الأندلسية المنيعة، وأمنع قلاع الأندلس قاطبة، وكانت ذات موقع إستراتيجي هام لقربها من الحدود مع الممالك الإسبانية النصرانية في شمال شرق الأندلس وهي ممالك قطلونية ونافار أو نبرة وقشتالة لذلك فهي في جهاد دائم؛ إذ لم يَكُفُّ النصارى عن هجماتهم على بلاد الإسلام في الأندلس منذ الفتح الإسلامي لها أيام موسى بن نصير وطارق بن زياد.[2]

وصفها الحميري بقوله: "بربشتر من أمهات مدن الثغر الفائقة في الحصانة والامتناع". وقال ياقوت الحموي: بَرْبُشْتر بضم الباء الثانية، وسكون الشين المعجمة، وفتح التاء المثناة من فوق:

---

[1]- إبن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء،تح:محمد باسل ،عيون السور دار الكتاب العلمية، بيروت، ط1 ، ص 494

[2] - ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 1، دار صادر 1993. ص 370 - 371. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، تح: ليفي بروفنسال، دار الجيل ،بيروت، لبنان، 1988، ص 39.

مدينة عظيمة في شرقي الأندلس من أعمال بربطانية ..، ولها حصون كثيرة، منها حصن القصر وحصن الباكة وحصن قصر مينوقش وغير ذلك".

ومدينة بربشتر إحدى أعمال مملكة سرقسطة التي كانت في عصر ملوك الطوائف تحت حكم بنو هود (431هـ / سبتمبر 1039م - 512هـ /ديسمبر 1118م) والتي تعد مملكتهم من أهمِّ وأخطر الممالك الإسلامية في بلاد الأندلس؛، ومن أعمالها وَشْقَة Huesca، ولاردة Lareda.

تعتبر واقعة بربشتر سنة 456 هـ "أول حملة صليبية على الأندلس الإسلامية") (، وذلك على إثر الحملات الصليبية المبكرة التي كانت تستهدف كبريات المدن الأندلسية[1]. كما أنها "أول هزيمة تلقاها المسلمون بعد أن تمزقت وحدتهم في الأندلس") ،(لهذا كانت دافعا قويّا، ارتفعت معه أصوات الشعراء والكتّاب مصورين فداحة الخطب الذي ألمّ بالمسلمين، وهذا الفقيه الزاهد عبد الله بن فرج اليحصبي المكنّى بابن العسّال يصوّر مأساة بربشتر فيقول:

وَلَقَدْ رَمَانَا المُشْرِكُونَ بِأَسْهُمٍ لَمْ تُخْطِ لَكِنْ شَأْنُهَا الإِصْمَاءُ
هَتَكُوا بِخَيْلِهِمُ قُصُورَ حَرِيمِهَا لَمْ يَتْقَ لاَ جَعْلٌ وَلاَ بَطْحَاءُ
جَاسُوا خِلاَلَ دِيَارِهِمْ فَلُهُمْ بِهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ غَارَةٌ شَعْوَاءُ
بَاتَتْ قُلُوبُ المُسْلِمِينَ بِرُعْبِهِمْ فُحَمَاتُنَا فِي حَرِّهِمْ جُبَنَاءُ[2]

وفيها تصوير لقسوة الأعداء في حملتهم على بربشتر، وتكالبهم من أجل الفتك بالمسلمين الذين لم يحّركوا ساكنا لنجدتها، فهم بذلك جبناء يخافون ملاقاة عدّوهم.

ثم ينتقل بنا إلى مشاهد أخرى ليبين من خلالها أن العدولم يكتف بتحقيق النصر أو القتل أو السبي، إنما تجاوز كّل ذلك إلى ارتكاب جرائم أخلاقية يندى لها ضمير الإنسانية، كانتهاك الحرمات لذا حاول ابن العسّال مخاطبة الوازع الديني وإثارة حمية العربي الأصيل الذي يصون كرامته ويذود

[1] - ياقوت الحموي: معجم البلدان، المرجع السابق ، ص 372.
[2] - الحميري، الروض المعطار: 40 - 41.

عنها فأين الحميّة؟ وقد انتهكت أعراض النساء، ونكّل بالأطفال والشيوخ شّر تنكيل رامين بالمبادئ والقيم عرض الحائط:

كَمْ مُرْضِعٍ غَنِجُوهُ لم يَرْحَمْ بِهِ ... طِفْلٌ وَلاَ شَيْخٌ وَلاَ عَذْرَاءُ
وَلَكَمْ مَرِيضٍ فَرَّقُوا مِنْ أُمِّهِ ... فَلَهُ إِلَيْهَا خَفْقَةٌ وَبُغَاءُ
وَلَرُبَّ مَوْلُودٍ أَبُوهُ مُجَلَّلٌ ... فَوْقَ التُّرَابِ وَفِرْشُهُ الْبَيْدَاءُ
وَمَصُونَةٍ فِي خِدْرِهَا مَحْجُوبَةٍ ... قَدْ أَبْرَزَهَا مَا لَهَا اسْتِخْفَاءُ
وَعَزِيزِ قَوْمٍ صَارَ فِي أَيْدِيهِمُ ... فَعَلَيْهِ بَعْدَ الْعِزَّةِ (اسْتُخْذِا)

كما يصّور ابن بسام هذه الفاجعة بقوله : "... عداة الله كانوا يومئذ يتولّعون بهتك حرم أسراهم وبناتهم بحضرتهم وعلى أعينهم إبلاغا في تعذيب قلوبهم يغشون الثيب، ويفتضون البكر، وزوج تلك وأبو هذه موثق بقيد أسراه ناظر إلى سحنة عينه، فعينه تدمع ونفسه تقطّع) ".

بعدها يقّر ابن العّسال أن ما أصاب المسلمين في هذه المحنة، ما هو إلا نتيجة طبيعية للفرقة والخلاف وتفاقم الذنوب، فهم يشربون الخمر مجاهرة، ويمارسون الرذيلة دون احتشام فحّق عليهم العذاب[1]:

الْمُسْلِمِينَ وَأَنَّهُمْ ... رَكِبُوا الْكَبَائِرَ مَا لَهُنَّ خَفَاءُ
مَا كَانَ يُنْصَرُ لِلنَّصَارَى فَارِسٌ ... أَبَدًا عَلَيْهِمْ فَالذُّنُوبُ الدَّاءُ
فَشُرُوطُهُمْ لاَ يَخْفِرُونَ بِشَرِّهِمْ ... وَصَلاَحُ مُصْطَلِحِي الصَّلاَحِ رِيَاءُ

وكأنه يطلب من الحكّام والمحكومين على السواء التمسك بالدين، والرّجوع إلى القيم والأخلاق التي يعلو بها الإنسان، فيلقى نصر الله وتأييده.وفي المضمار نفسه يقّر ابن عبد البرّ في رسالة له على لسان أهل بربشتر أن كثرة الذنوب حاجبة عن النصر[2]: "... لولا فرط الذنوب لما كان ليحهم علينا من هبوب ... "

[1] - الحميري: المصدر السابق ، ص91، الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 41

[2] - المقري: نفح الطيب،ج4، ص 454. _ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص 98.

ثمّ يضرب على نغمة الوحدة والائتلاف كدعوة صريحة منه إلى وجوبها: "... ولو كان شملنا منتظما، وشعبنا ملتئما، وكنا كالجوارح في الجسد تشابكا..."

وإذا سلّمنا بوجهة نظر ابن العسال وابن عبد البر في اعتبار الذنوب إحدى الأسباب التي ألحقت بالمسلمين الهزيمة، فإنّه يجدر بي أن ألفت الانتباه إلى وجود عوامل سياسية، وأخرى اجتماعية كان لها الأثر البالغ في انهيار الكيان الإسلامي بالأندلس، وبالتالي ضعف المسلمين وانهزامهم أمام العدو النصراني[1].

وعلى إثر هذه الحادثة نجد من الشعراء من وجّه خطابه مباشرة إلى ملوك الأندلس يشعرهم بالخطر المحدق بهم. كالهوزني الذي خاطب المعتضد وليحثّه على الجهاد منبّها إياه بخطورة الوضع:

أَعبَّادَ حَلَّ الرَّزءُ والقومُ هجَّعُ عَلَى حَالَةٍ من مثلُها يتَوقَّعُ

فَلَقِّ بكَا بِي مِنْ فَرَاغِكَ سَاعَةً وَإِلَّا فَمَا لِلْوُصُوفُ للطُّولِ موضعُ

وهكذا صورت لنا هذه الأشعار والمراسلات الأثر العميق الذي تركته نكبة بربشتر في أوساط المجتمع الأندلسي، ولعلّها أوّل محنة حركت المشاعر وللأسف لم تجد نصيرا

المطلب الثاني: نكبة طليطلة:

كانت طليطلة من أجّل المدن الإسلامية وأعظمها خطراً [2]، ومن- أكبر بلاد الأندلس وأحصنها[3]، حكمها من الطوائف بنو ذي النون الهواري، وأوّلهم الأمير إسماعيل عام 420هـ، ثم تملّك المأمون بعد أبيه عام 435هـ [4] فعكف على اللذات والخلاعة، وصادر الرعيّة، وهادن العدّو، فطمعت فيه الفرنجة بل في الأندلس، وأخذت عدّة حصون، وكان قد استعان بهم على تملّك مدائن

---

[1] - ابن بسام، الذخيرة، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مج1، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان ج5،ص189-190، _ ابن عذارى، البيان المغرب، المصدر السابق، ص 278.

2_ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ4 ،ص40.

3_ ابن الأثير،الكامل في التاريخ جـ8 ص138.

4_ **الذهبي،** سير أعلام النبلاء، ج18، بيت الأفكار، د ط، د ت ، ص221._ ابن الأثير، المصدر السابق، جـ9 ،ص288.

الأندلس، وغدر به ملكهم، وأخذه رهينة حتّى أعطاه ما طلب من الحصون، وقرّر عليه مالاً كلّ سنة، وعاد ذليلاً مخذولاً وذلك بما قدّمت يداه، إلى أن توفي عام 460هـ [1] مقتولاً بيد القاضي ابن جحّاف، فخلفه القادر بن يحي في الحكم [2] الذي لجأ إلى بلاطه الفونسو السادس، وأقام فيه تسعة شهور، ولاقي الإكرام الزائد، والمجاملات الكثيرة إلى أن غادرها حاكماً للنّصارى، بعد أن ارتبط ببني ذي النون بروابط الصداقة وأعطى العهود والمواثيق.

أصبح شغل الفونسو الشاّغل الاستيلاء على هذا البلد الذي آواه وأكرمه، وكان قد درس وسائل احتلالها أثناء لجوئه، بل وتذكر بعض الروايات أنه استمع ذات يوم وهو متظاهر بالنوم إلى حديث المأمون مع وزرائه في كيفية الدفاع عن طليطلة إذا هاجمها النصارى، وقد أجاب بعضهم:أن النّصارى لا يستطيعون الاستيلاء عليها وهي المدينة الحصينة إلا إذا أنفقوا سبعة أعوام على الأقّل في تخريب أحوازها وإن تسافقوتها [3]، وتمكن الفونسو من الإطلاع على عوراتها[4]. فأخذ بالإغارة على أراضيها وعاث فيها سفكاً وتخريباً، وانتسف مزارعها، بالاتفاق (ياللأسف) مع ابن عباد أمير اشبيلية، وأعظم ملوك الطوائف، الذي تحالف معه وتعّهد بمعاونته بالجند والمرتزقة ضد جميع المسلمين مقابل ألاّ يتعرض لمشروعه في مهاجمة طليطلة، فضحّى المعتمد بمعقل الأندلس المسلمة مقابل وعود خدّاعة، ودفع للادفونش الجزية .[5]

استمّر الفونسو في غاراته على أراضي طليطلة دون أن يجد من يردعه، وبعد أن أنهكها تقدّم لحصارها، واستمّر في حصارها سبع سنوات [6]وارتكب بها وبأهلها الأفاعيل وأُنزلت الآثام، وتمثّلت النّزعة الصّليبيّة واضحة في هذا الحصار، فقد ضّمت القوات النّصرانية جنوداً من جميع أسبانيا

1_ المقري، نفح الطيب، جـ4، ص352.

2_ المقري،المصدر السابق ، ص352.

3_ دول الطوائف ص391، وهي قصة لا تخلو من الخيال، ولكنها ذات مغزى يرمي إلى تصوير مدى غفلة الأمير، وثقته بأعدائه، وركونه إليهم.

4_ابن الخطيب، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تح: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، ط 2، 1956،ص330.

5الذهبي، العبر، جـ2، ص338.

6_ المقري، المصدر السابق، ص353. _ ابن خلدون، العبر،ج2، ص339._ ابن الأثير، المصدر السابق،ج8،ص138.

النصرانية من قشتاله وليون وارغون، ومتطوعين نصارى من المغامرين من فرنسا وألمانيا وإنكلترا وغيرها من أوربا النصرانية [1]، تباركهم الكنيسة. في حين بقيت طليطلة المسلمة وحيدة تصارع هذه القوى، وأمراء الطوائف جامدون لا يتحّركون، وكأن الأمر لا يخصهم، بل ارتمى بعضهم كزعيمهم ابن عباد على اعتاب الفونسو، وتغافلوا عن الحقيقة: (إن النصارى لا يفّرقون بين طليطلة وغيرها من القواعد الإسلامية) ولم يقم بواجب نجدتها إلا المتوّكل على اللّه عمر بن محمد بن الافطس أمير بطليوس الذي وقف مجاهداً عن الإسلام وأهله كوالده الذي كان قد دعا إلى وحدة الأندلس للوقوف في وجه النصارى، وأنحى باللائمة على ابن عباد الذي ما لأ لاذفونش، وبيّن أن سبب تكالب الأفرنج على بلاد المسلمين يكمن في ذنوبهم وتفّرقهم [2]، واستمّر في جهاده إلى وفاته سنة 470هـ. فكان ابنه المتوكل هذا لا يقّل عنه جهاداً، وقد ثار أهل طليطلة عام 472 هـ ضد القادر وخلعوه لتعاونه مع الاذفونش وخياناته، واستدعوا المتوّكل ليتولّى أمرها، فقبل مكرهاً، وأقام عندهم نحواً من عشرة أشهر ليعود إلى بطليوس حين علم باستعانة القادر بالاذفونش وتقّدمهما نحو طليطلة[3].

يئس أهل طليطلة من نجدات المسلمين، ففاوضوا الاذفونش من أجل التّسليم، وكالعادة أعطى لأهلها الأمان لضمان حّريّاتهم، واحترام شعائر دينهم، وحقوقهم، وحرمة مساجدهم، وكعادته أيضاً نقض هذه العهود بعد شهرين فقط، وحّول مسجدها الجامع إلى كنيسة، وحطّم المحراب ليقام الهيكل مكانه [4] ،وارتكب بأهلها الأفاعيل وأنزل بها الآثام [5] ،تباركه الكنيسة في ذلك، واتّخذها عاصمة لأسبانيا النّصرانيّة. وكان سقوطها في منتصف المحرم سنة 478هـ[6].

1_ محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين،(د.ط)،(د.ت)، ص396.

2_انظر رسالته للأذفونش بهذه المعاني/ الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج18، ص595-596. وفيها تظهر عزة المسلم حينما يلجأ إلى الله سبحانه ويستمد منه قوته.

3_ عبد الرحمن الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ط2، دار القلم للنشر، لبنان، 1981، ص 337.

4_المقري، المصدر السابق،ج4 ص447._ محمد عبد الله عنان، المرجع نفسه، ص113.

5_ المقري ، نفسه،ص354.

6_المقري، نفسه، ص354. ابن خلدون، العبر، ج2، ص 338._ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8 ، ص138.

- مركز حضاري:

كانت طليطلة أحد أهم المراكز الحضارية والاقتصادية في الأندلس لتوسطها البلاد، وتعاظم دورها فترة ملوك الطوائف، حيث عرفت بالثغر الأوسط، لمتاخمة حدودها للممالك الإسبانية النصرانية، واعتبارها بذلك حاجز الدولة الإسلامية وجناحها الشمالي الأوسط ضد عدوان النصارى، وكانت رأس الحربة في أي عمل عسكري ضد الإسبان.[1]

ويصفها الجغرافي الكبير ياقوت الحموي بأنها "مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس، وكانت قاعدة ملوك القوطيين وموضع قرارهم، وهي على شاطئ نهر تاجه، وعليه القنطرة التي يعجز الواصف عن وصفها، وقد ذكر قوم أنها مدينة دقيوناس صاحب أهل الكهف، وقالوا: وبقربها موضع يقال له جنان الورد فيه أجساد أصحاب الكهف لم تبل إلى الآن، والله أعلم، وهي من أجل المدن قدرا وأعظمها خطرا".[2]

وحكم طليطلة في عصر دول الطوائف بنو ذي النون، فبلغت أوج ازدهارها، منذ انهيار الخلافة الأموية في قرطبة، الذين تمكنوا من تكوين واحدة من أكبر دول الطوائف فيها، وساعدهم في ذلك موقعها الاستراتيجي ووفرة مواردها، فاكتسبت مناعتها من انتصاراتها على كثير من ملوك الطوائف، إضافة إلى تفوقها الحضاري ووجود مجموعة من كبار المثقفين والعلماء الذين جاهدوا بالقلم موجة الثقافة المسيحية المقبلة من الشمال، فضلا عن أنها كانت كسائر مدن الأندلس تحتوي على مكتبات ضخمة تحوي نفيس الكتب، كما نقل إليها بعض أهالي قرطبة، بعد انهيار الخلافة الأموية، الكثير من ذخائر مكتبة الخليفة الأموي الحكم المستنصر.

لكن كل هذا، كان يخفي خلفه انهيار القوة العسكرية لإمارة ذي النون في طليطلة، فحالة الضعف البين للجميع كانت واضحة أمام العدو الإسباني الذي اشتد قلبه، وظهر طمعه، بعد أن تفنن ملوك الطوائف في الأندلس في اصطناع الخلافات والتفرقة والانشقاق والفوضى والتخاذل عن

[1] - ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 183.

[2] - نفسه، ص 183

نصرة المسلمين، في حين كانت قوة إسبانيا النصرانية تغذي هذه الخلافات مستغلة عوامل الوهن والأزمات في صفوف ملوك الطوائف، لزيادة رقعتها على حساب ملوك الطوائف المنقسمين على أنفسهم، وكانت ذروة هذا التفسخ في وقت وجه الإسبان أقوى ضرباتهم إلى مدينة طليطلة، واسطة عقد بلاد الأندلس.

- سياسة الاسترداد

وجاء الانهيار الأندلسي في وقت تولى الملك ألفونسو السادس حكم ليون وقشتالة (1065-1109م)، وأصبح سيد إسبانيا النصرانية، وعمل على السير قدما في سياسة الاسترداد التي وضع أسسها المتينة الملك فرناندو الأول.[1]

وكان وصول ألفونسو السادس إلى الحكم، وعجبا للقدر، من باب طليطلة بالذات، فقد نشبت الحرب بين ألفونسو وأخيه الأكبر سانشو، الذي شتت جيوش ألفونسو وأجبره على الهرب من البلاد، ولم يجد مكانا يلجأ إليه إلا بلاط المأمون بن ذي النون في طليطلة، الذي استقبل ألفونسو أحسن استقبال وشمله برعايته، بل وفرض حماية طليطلة عليه، ضد عدوان أخيه ملك ليون الملك سانشو، وكان أخوهما الثالث غرسية لجأ إلى بلاط إشبيلية عند بني عباد.[2]

ولم يركن ألفونسو إلى حياة الهدوء والدعة، طوال الأشهر التسعة التي قضاها بين جنبات طليطلة، بل عمل طوال فترة إقامته في طليطلة على الاطلاع على أحوال المدينة، يستطلع مناعة أسوارها ويختلط بأهلها لكشف أسرارها، يدفعه حلم السيطرة على هذه المدينة يوما ناسيا ما قدمه عاهل طليطلة من معروف جميل عندما أواه وهو شريد، وهي حقيقة يقرها المؤرخ الإسباني بيدال، إذ يقول: "كان ملك ليون المخلوع يختلط بالسكان المسلمين ويتريض في جنبات المدينة الحصينة، ويفكر من أي الأماكن وبأي نوع من أدوات الحرب يمكن اقتحامها".[3]

---

[1] - ابن الأبار، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، ج2، دار المعارف، ط2، 1985، ص 98

[2] - نفسه، ص98.

[3] - راجع ما نقل في الذخيرة عن ابن حيان، المجلد الأول ،القسم الأول، ص 361 .

وتطورت الأحداث سريعا داخل مملكة الإسبان لصالح ألفونسو السادس، فقد خاض ملك ليون وقشتالة سانشو غمار العديد من الحروب من أجل توحيد مملكة الإسبان في قبضته، حتى لقي مصرعه نتيجة مؤامرة عائلية أودت بحياته.[1]

وجاء الخبر السعيد لـ"ألفونسو" بمقتل أخيه وعودته إلى عرش ليون، فأخبر المأمون بن ذي النون بالنبأ، وعلى الفور قرر المأمون تجهيز صديقه بالمال والخيول، وودعه طالبا منه الحفاظ على صداقته، ومعاونته إذا احتاج مساعدته ضد إخوانه من ملوك الطوائف، فقطع له ألفونسو عهده، وودعه المأمون في موكب عظيم فخم إلى حدود مملكته.[2]

- ترقب وهجوم:

وما ان وحد ألفونسو مملكة ليون وقشتالة في قبضته، حتى بدأ في مراقبة تطورات الأوضاع في بلاد الأندلس، يتحين الفرصة ليهجم هجمته ويقتنص مدينة طليطلة، بعد أن علم ضعف ملوكها وخبر مكامن قوتها وضعفها، وكانت الظروف والأيام تسير إليه متهادية ليحقق حلمه، ففي سنة 467هـ/1075م توفي المأمون بن ذي النون حاكم طليطلة، وتولى الحكم خلفه حفيد له في غاية الضعف وغياب القدرة السياسية والعسكرية يسمى يحي وتلقب بـ"القادر"، وهو للعجز أقرب.[3]

وكان "القادر" فتى حدثا التف حوله بطانة السوء، فقتل وزراء دولته، وبدأ في إساءة السيرة ففشل في إدارة مملكة أسلافه، فطمع فيها الجميع حتى هاجمها المتوكل بن الأفطس أمير بطليوس، الذي دخل طليطلة حاكما عليها، وفي تلك الأثناء هرب "القادر" إلى حليفه الإسباني ألفونسو السادس الذي هاجم طليطلة، وأعاد القادر على عرش طليطلة، معلنا في الوقت ذاته حمايته للقادر.[4]

---

[1] - ابن عذارى، البيان المغرب، ج 3، ص 236_ 237، _ ابن الخطيب،أعمال الأعلام ،ص 183_ .184 _ لعبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 41

[2] - ابن عذارى، المصدر نفسه، ص 183_ 184. والمعجب لعبد الواحد المراكشي ص 41

[3] _ محمد سهيل طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ط 1، دار النفائس، 2010، ص443.

[4] - نفسه ، ص 443.

ومنذ هذه اللحظة أي سنة 474هـ/1081م أصبحت طليطلة تابعة فعليا لمملكة ليون، وبدأ ألفونسو يضع الخطط بعد أن اضطلع على الأوضاع الداخلية لطليطلة للمرة الثانية، واكتشف مدى ضعف البلاد في فترة حكم القادر بن ذي النون، فعمل على إرهاب ملوك الطوائف وأرغمهم جميعا، باستثناء ملك بطليوس المتوكل، على دفع الجزية له ولم يعد من منافس له، لذلك قرر مهاجمة أراضي مملكة طليطلة، يخرب الزرع ويحرق الأرض ليحرم طليطلة من مواردها ويزيد بؤس أهلها وكدر الحياة عليهم.

ووضح للجميع في الأندلس هدف ألفونسو النهائي من هذه الهجمات، لكن لم يمد أي من ملوك الطوائف يد العون لطليطلة، فقد انشغل المعتمد بن عباد أكبر ملوك الطوائف وأكثرهم قوة بمحاربة إمارة غرناطة، فضلا عن اتفاقياته مع ألفونسو التي جعلته بمثابة خادم تابع له.[1]

- استنهاض الهمم:

وانشغل المقتدر بن هود بصراعه مع إمارتي برشلونة وأراجون، ولم تفلح محاولات المتوكل بن الأفطس حاكم بطليوس في استنهاض همم الرجال في الأندلس للزود عن طليطلة من مصيرها المحتوم وما يضمره لها المستقبل من ويل وثبور. وفي سنة 477هـ/1085م، قرر ألفونسو مهاجمة طليطلة، وضرب عليها الحصار طمعا في المدينة، ولم يتحرك أي من ملوك الطوائف لنجدة المدينة المحاصرة باستثناء المتوكل بن الأفطس الذي لم يكتف بالدعوات بل أرسل هذه المرة ولده الفضل على رأس جيش قوي.

لكن ألفونسو هزمه وأجبره على التراجع، ليترك أهالي طليطلة وحدهم في الميدان، يعانون آثار الحصار المشدد، وخرج وفد من علية القوم وأهل الحل والعقد لمقابلة الملك ألفونسو طلبا للصلح، عارضين زيادة في الجزية السنوية المقررة على المدينة، إلا أن ألفونسو رفض مقابلتهم وأخبرهم وزيره أنه لا مفاوضات.

[1] - محمد سهيل طقوش،نفسه ، ص 443.

ويورد ابن بسام الشنتريني، في موسوعته "الذخيرة"، رواية توضح حجم المأساة التي عاشتها الأندلس في ظل ملوك الطوائف، فعندما حاول زعماء طليطلة تأكيد أنهم في انتظار المدد من ملوك الطوائف، أخرج لهم الملك ألفونسو من خيمة مجاورة سفراء ملوك الطوائف جاءوا ليطلبوا وده ويعلنوا خضوعهم له، ما جعل زعماء طليطلة يعودوا وهم يجرون أذيال الخيبة وقد انقطع رجاءهم في أي مساعدة.

- محاولات فاشلة:

وحاول القادر بن ذي النون حاكم البلاد أن يفك الحصار بالاعتراف مجددا بتبعيته لألفونسو والحكم باسمه في البلاد، لكن كل هذه المحاولات فشلت أمام شدة الحصار الذي استمر تسعة أشهر، وإصرار ألفونسو على فتح المدينة، فلم يجد أهالي طليطلة مفرا من الاستسلام.

وفي غرة شهر صفر سنة 478هـ/ 25 مايو 1085م، دخل ألفونسو السادس مدينة طليطلة دخول الفاتحين، الذي كان قبل سنوات قليلة لاجئاً فيها عند المأمون بن ذي النون، وعفا عن أهلها حتى لا يعطي نموذجا سيئا لبقية المدن الأندلسية التي كان يطمع في فتحها تباعا. ورغم أن الملك ألفونسو أعطى أهالي طليطلة الامان، وتعهد بالحفاظ على حرية العقيدة لدى مسلمي المدينة، فإن الأوامر صدرت بعد شهر واحد بتحويل مسجد طليطلة إلى كنيسة، حيث استغل برناردو كبير أساقفة طليطلة خروج الملك في نزهة وأمر بتحويل المسجد إلى كنيسة فورا.[1]

ويورد لنا المقري، صاحب كتاب "نفح الطيب"، تفاصيل تحويل المسجد قائلا: "فأمر أدفونش (النطق العربي لألفونسو) بتغيير المسجد الجامع... وحدثني من شهد طواغيته تبتدره في يوم أعمى البصائر... وليس فيه إلا الشيخ الأستاذ المغامي، آخر من صدر عنه واعتمده في ذلك اليوم ليتزود منه، وقد أطاف به مردة عفاريته، وسرعان طواغيته، وبين يديه أحد التلامذة يقرأ، فكلما قالوا له

[1] - عبد الرحمن الحجي، المرجع السابق ،ص 150.

عجل، أشار هو إلى تلميذه بأن أكمل، ثم قام ما طاش ولا تهيب، فسجد به واقترب، وبكى عليه مليا وانتحب، والنصارى يعظمون شأنه، ويهابون مكانه، لم تمتد إليه يد، ولا عرض له بمكروه أحد".[1]

ويقول ابن بسام: "قد حُدثت أن شيعة أدفونش- لعنه الله وبددها- أشاروا عليه يومئذ بلبس التاج، وزينوا له زي من سلف بالجزيرة قبل فتح المسلمين إياها من أعلاج، فقال: لا، حتى أطأ ذروة المُلك، وآخذ قرطبتهم واسطة السلك، وكان أعد لمسجدها الجامع ناقوسا تأنق في إبداعه، وتجاوز الحد في استنباطه واختراعه". واتخذ ألفونسو السادس لقبا مميزا بعد فتح طليطلة فقد تلقب بالامبراطور ذي الملتين، يعني الحاكم على أهل الديانتين المسيحية والإسلام.

. وأسفر سقوط طليطلة عن نتائج هامة:

فقد اشتدّ طمع النّصارى في بلاد الأ ندلس الإسلامية، فشنّ الأذفونش الغارات على جميع الأندلس المسلمة، وفاز باستخلاص جميع أقطار ابن ذي النون واستئصالها، وذلك ثمانون منبراً، سوى البُنيّات والقرى المعمورات، وحاز من وادي الحجارة إلى طلبيرة، وفحص اللّج وأعمال شنزية كلّها، وتسمّى (بالإمبراطور) أو (لإمبراطور ذي الملتين الإسلامية والنّصرانية). وطمع في ملوك الطوائف، وعاملهم معاملة الأتباع الأذلاّء [2]، وتصوّر أنهم غدوا كافّة رهن إشارته، وطوع بنانه، وانّه سيقضي عليهم الواحد بعد الآخر، ورفض جزيتهم وردّها كما فعل مع ابن عباد، ووصفهم بالحمقى الذين تلقبوا بأسماء الخليفة وهم لا يملكون لأنفسهم ضّراَ ولا نفعاً

وتسلل اليأس إلى نفوس المسلمين من ملوك الطوائف، وغدت الأصوات اليائسة ترتفع، وفي ذلك يقول عبد اللّه بن فرج اليحصبي المشهور بابن العسّال أو غيره [3]:

---

[1] - ابن عذارى ،المصدر السابق ، ج 3، ص 278، وكذلك: P.yVives: Los Reyes de Taifas, p.53

2_ عبد الرحمن الحجي، التاريخ الأندلسي، ص334-315.

3_تروى الأبيات بأشكال مختلفة بالمعنى نفسه. انظر: المقري،المصدر السابق،جـ4 ،ص352.

يا أهل أندلس حثّوا مطيّكم فما المقام بها إلا من الغلط
الثّوب ينسل من أطرافه وأرى ثوب الجزيرة منسولاً من الوسط
ونحن بين عدّو لا يفارقنا كيف الحياة مع الحيّات في سفط

هذا وقد نُظّمت قصائد كثيرة في سقوط طليطلة وغيرها من المدن والحصون يظهر فيها الأسى والحزن.

وأدرك ملوك الطوائف عزلتهم عن أمّتهم، وأنّ النّصارى لا يفّرقون بينهم في المعاملة، وينظرون إليهم نظرتهم الحاقدة إلى المسلمين تحثّهم على ذلك الكنيسة بروحها الصّليبية، فتنادوا للّقاء، وتداعوا للوحدة استجابة أو مسايرة للرأي العام المسلم. [1]

فسقوط طليطلة ، قصة غريبة ، فهي مدينة في غاية المنعة ، وسقوطها بهذه السهولة في يد "ألفونسو السادس" ، أمر يثير الدهشة ، ولكن الدهشة تزول إذا ما علمنا أن المأمون بن ذي النون ، حاكم طليطلة ، قد آوى ألفونسو لما ثار على أخيه "سانشو" ، بسذاجة منقطعة النظير ، ظنا منه أن هذا مما يقوي أواصر المودة بينه وبين ألفونسو ، وبالتالي لن يتأخر ألفونسو عن نجدته إذا ما احتاج إليه ، وقضى ألفونسو في منفاه مدة كافية لدراسة خطط مدينة "طليطلة" فريسته القادمة ، وبمجرد عودته إلى بلاده لتولي الملك بعد وفاة أخيه "ساتشو" ، أعد العدة لرد الجميل للمأمون ، فأعلن الحرب على طليطلة التي آوته ، وكان أمير طليطلة في تلك الفترة، الأمير الضعيف الخائن : القادر بالله بن ذي النون، حفيد المأمون ، وهو اسم على غير مسمى، واستطاع ألفونسو بخبرته الميدانية الواسعة أن يشن حرب استنزاف طويلة الأمد لموارد طليطلة الطبيعية، فجردها من مصادر القوت، ولم يهب لنجدتها إلا أمير بطليوس، الإمارة الصغيرة في غرب الأندلس، المنصور يحي بن الأفطس، رحمه الله، وهنا يتدخل المعتمد بن عباد في خيانة منقطعة النظير، فيسير بقواته تجاه بطليوس ، ليحول دون نجدة بني الأفطس لطليطلة ، التي أضحت فريسة سهلة لألفونسو بعد انقطاع المدد عنها من بطليوس، ومن "سرقسطة" إذ شغل أميرها "المؤتمن" بجهاده ضد إمارات أرجون وبرشلونة ، فضلا عن خطر المعتمد بن عباد الذي صار بتحالفه مع ألفونسو عبئا جسيما على أبناء ملته في الجزيرة الأندلسية، وخطر

[1] _ علي الصلابي،تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، ص 79-82.

ألفونسو نفسه، فـ "سرقسطة" في موقف تحتاج فيه إلى المعونة ، وفاقد الشيء لا يعطيه، ولم يبق إلا أن يوجه ألفونسو ضربته الأخيرة لطليطلة، في السابع والعشرين من المحرم سنة 478 هـ، لتعود طليطلة إلى القوط النصارى بعد 372 عاما من الحكم الإسلامي ، ومنذ ذلك التاريخ أضحت طليطلة عاصمة قشتالة النصرانية ، ومنذ ذلك التاريخ وحتى الآن لم تعد طليطلة الحبيبة للمسلمين وبطبيعة الحال لم يقنع ألفونسو بهذا الانتصار العظيم الذي هز حواضر العالم في ذلك الوقت ، بل واصل تهديده لبقية حواضر الأندلس ، فبدأ ، كعادته ، بأقرب أصدقائه من المسلمين ، المعتمد بن عباد الذي سهل له الاستيلاء على طليطلة بقطع الطريق على بني الأفطس ، وكان المعتمد ، فضلا عن تواطئه مع ألفونسو ضد أبناء ملته ، يعطي الجزية عن يد وهو صاغر لألفونسو ، ولم يكتف ألفونسو بذلك بل مضى في استفزاز المعتمد ليخرجه عن طوره ويلغي اتفاقية "الصداقة والشراكة" الوهمية بينهما ، فطلب منه تسليم حصون استراتيجية ووصل الاستفزاز لذروته لما طلب منه أن يسمح لزوجته القمطجية أن تلد في جامع قرطبة ، وأغلظ جابيه اليهودي "ابن ساليب" القول للمعتمد ، فلم يتمالك الأخير نفسه ، فصلب ذلك الجابي اليهودي ، وسنحت الفرصة لألفونسو ، فألغى الاتفاقية الهزيلة رسميا وأعلن الحرب على المعتمد ، حليفه الاستراتيجي القديم ، وأثخن في أرض الأندلس الإسلامية حتى وصل إلى جزيرة طريف ، وأدخل قوائم فرسه في البحر قائلا : "هذا آخر بلاد الأندلس قد وطئته" ، وكأنه ، كما يقول الدكتور أحمد الدعيج ، حفظه الله ، يتقمص شخصية عقبة بن نافع ، رحمه الله ، لما خاض بفرسه مياه الأطلنطي ، وشتان عقبة وألفونسو.[1]

[1] _ علي الصلابي،تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، ص79_82 /ص95 _ 96.

المبحث الثاني : نقص النكبات في عهد المرابطين و الموحدين

المطلب الأول: نقص النكبات في عهد المرابطين

امت الدولة المرابطية على أساس من العقيدة الدينية، وكان منشؤها الروحي فقيه متشدد هو عبد الله بن ياسين الجزولي، واحتفظت بهذا الطابع الديني معظم حياتها، وكان يتخذ من البداية صورته العلمية، في سيطرة الفقهاء على شؤون الدولة وتوجيهاتها، وفي اتجاه الجيوش المرابطية في المراحل الأولى من حياة الدولة إلى أعمال الجهاد سواء في المغرب أو الأندلس، وكان نفوذ الفقهاء في تسيير الدولة المرابطية، يتخذ أيام يوسف بن تاشفين صورة الشورى، فكان العاهل المغربي يستفتيهم في الخطير من الأمور، لا استفتاء المستسلم الخانع، ولكن استفتاء الحذر المستنير، والذي يحاول أن يطمئن على سلامة تصرفاته وأن يلتمس لهذا السند الشرعي، ولكن هذا النفوذ لم يلبث أن غدا في عهد ولده علي نوعاً من الديكتاتورية الدينية (الثيوقراطية)، ولم يكن لعلي بن يوسف بالرغم من ذكائه وميل صفاته، وبالرغم من ورعه وتقواه من العزم والحزم ما يكفي لمغالبة هذا النفوذ الجارف، وهذا ما يصوره لنا المراكشي عند حديثه عن علي بن يوسف في تلك الفترة التي تبرز لنا روح الحكم المرابطي على حقيقتها[1].

لما تداعت سلطة المرابطين في الأندلس، أقبلت الوفود الأندلسية المتعددة إلى المغرب تدعو عبد المؤمن إلى الأندلس، وتستنصره للجهاد فيه. ممن وفد على عبدالمؤمن (وهو بمراكش) القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن العربي الإشبيلي، على رأس مجموعة كبيرة من علماء إشبيلية لتقديم بيعتها إلى الموحدين، سنة 542هـ-1147م. ومن مآثر هذا القاضي الكثيرة أنه هو الذي شارك بماله لإصلاح سور إشبيلية، حين توليه قضاءها (528هـ-1133م.(

كان أول جيش أرسله الموحدون إلى الأندلس سنة 541 هـ-1146، لإزالة ما بقي فيها للمرابطين من سلطان، ثم خضعت مناطق أخرى للموحدين. ولما استقر الأمر لهم في المغرب، أولى عبد المؤمن اهتماما أكثر بالأندلس. فعزم على العبور إليها ليشارك بنفسه في ترتيب أمورها. وكتب

[1] - محمد ابراهيم الفيومي، تاريخ الفلسفة الإسلامية، دار الجيل، بيروت ط1، 1997 م، ص 165.

إلى أهل الأندلس ليبتنوا مدينة في جبل طارق. فتم ذلك بعد أن حشد ابنه أبو يعقوب يوسف الإمكانات اللازمة من المهندسين والعمال. وكمل بناء المدينة في شهر ذي القعدة سنة 555هـ-1160م، بعد أن استمر العمل بها شهورا. في نفس هذا الشهر عبر عبد المؤمن إلى جبل طارق. كان يوم عبوره مشهودا يصفه لنا عبد الملك بن صاحب الصلاة في كتابه: "المن بالإمامة على المستضعفين": "بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين" (أطلق على الجبل اسم "جبل الفتح."(

عاد عبد المؤمن إلى المغرب، بعد أن أمضى مدة يرعى أحوال الأندلس، وينظم شؤونها، ووفر حامية قوية من الموحد ين والأندلسيين. ومن الأمور التي اهتم بها الموحدون توفير قوة دفاعية كافية للأندلس، وقد جعلوا غرناطة مركزا دفاعيا قويا حشدت لها الإمكانات، كما نقلت العاصمة من إشبيلية إلى قرطبة سنة 557هـ-1162م)، التي اعتبرت مستقرا للجيوش الموحدية. ثم بدأ الخليفة عبد المؤمن يتجهز لرد عدوان إسبانية الشمالية على الأندلس، فجهز جيشا ضخما، وسار به من مراكش العاصمة إلى مدينة الرباط (رباط الفتح)، حيث بدأ تشييدها سنة 454 هـ-1150م. لكن عبد المؤمن مرض المرض الذي توفي فيه، في اليوم العاشر من جمادى الآخرة (سنة 558هـ-1163م)، بعد حكم دام أكثر من 33 سنة.

وقد بويع اثر ذلك لابنه أبي يعقوب يوسف، وهو في مدينة سلا، فأصدر أمرا إلى الجيوش بالانصراف إلى بلادها، حتى يتخذ قرارا جديدا، فعاد هو والحاشية والأشياخ وأصحاب الشأن إلى العاصمة مراكش[1].

وفي سنة 560هـ-1165م عبرت حملة عسكرية إلى الأندلس لتعزيز دفاعات بعض المناطق الأندلسية ضد إسبانية الشمالية. كما حدث صدام مع محمد بن سعد بن مردنيش . ومركزه مرسية . الذي كان له صلاة مودة مع عدد من ملوك إسبانية الشمالية. وقد بلغ عدد المرتزقة النصارى في جيشه . في لقائه مع الموحدين . ما يقرب من 13 ألف مقاتل. حارب الموحدون، بعد أن تعاهدوا

[1] - ابن عذارى، المصدر السابق،ج 2، ص 271.

على الثبات والاستشهاد في سبيل الله.تم النصر للموحدين في هذه المعركة التي عُرفت بـ(فحص الجلاب) على بعد 12 كلم جنوب مرسية، وتوفي ابن مردنيش بعد ذلك[1].

اهتم الموحدون بعد ذلك بتنظيم أحوال الأندلس في مختلف النواحي. وكتب الخليفة إلى الأندلس يأمر المسؤولين فيه بالعناية بالبلاد، والاهتمام بأمور الرعية، وأن تكون الأحكام جارية على سنن العدل، وأن ترفع أحكام الإعدام إليه مدون فيها الشروح، وتقييد الشهود والعدول، مع تدوين حجج المظلومين. أما الجرائم الأخرى فلابد من التدقيق فيها، وكذلك في سائر المعاملات[2].

خلال هذه الأحداث كانت اعتداءات ملك البرتغال الفونسو انريكيث AlFonso Enriquez تجد الفرصة السانحة لمهاجمة أراضي الأندلس واحتلال بعضها. وكانت البرتغال حديثة الانفصال عن قشتالة وليون، إذ أعلن هذا الملك استقلال البرتغال حوالي سنة (523هـ-1128م). ولضعف إمكاناته حين أراد الاستيلاء على أشبونة، استنجد بالقوات الصليبية، المتجهة إلى المشرق من الإنكليز والألمان والهولنديين. وبذلك أمكنه . بعد حصار طويل . الاستيلاء على المدينة، واستباحتها سنة 542 هـ-1147م. ثم استولى على مدينة شنترين .(Santarem) واستولى سنة 555هـ.-1160 م على ثغر منيع يعرف بقصر الفتح أو قصر أبي دانس Alcacer do Sal نسبة إلى بانيه أبي دانس، على بعد 94 كم جنوب شرق مدينة لشبونة.

تلت ذلك سلسلة جديدة من الاعتداءات قام بها مغامر برتغالي بقوات كانت تابعة له، تطلق الرواية الإسلامية عليه اسم "العلج جراندهالجليقي (Geraldo Sem Pavor el Gallego)." وقد تمكن هذا المغامر من احتلال بعض مدن غرب الأندلس. في تلك الأثناء قامت عدة اتصالات بين الموحدين وبعض حكام إسبانية الشمالية، أدت إلى عقد معاهدة صلح مع فرناندو الثاني ملك ليون، الذي خرق المعاهدة، وهاجم الأراضي الأندلسية سنة 570 هـ-1174م. وقد

[1] - ابن عذارى ، المصدر السابق،ص 271.

[2] - اشباخ :تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ط2، 1958، ص 49.

قامت القوات الموحدية إثر ذلك بمهاجمة إحدى القواعد العسكرية التابعة لمملكة ليون (تسميها الرواية الإسلامية السبطاط[1].

كان الخليفة أبو يعقوب قد عبر إلى الأندلس سنة 566هـ-1170م على رأس قواته للقيام بأعمال الجهاد في الأندلس، وقد التحقت به كذلك جيوش أندلسية، غير أن حملته لم تحقق النتائج التي كان يطمح إليها. وقد استمر الخليفة في الأندلس خمس سنوات قبل أن يعود إلى العاصمة مراكش سنة 571هـ-1175م. في تلك الأثناء شن النصارى عدة هجمات على الأندلس، وهو ما رد عليه الموحدون سنة 578 هـ-1182 م، حيث وقعت معركة بينهم وبين القشتاليين قرب طلبيرة. وفي سنة 580هـ-1184م، عبر الخليفة أبو يعقوب بجيش آخر، اتجه صوب مدينة شنترين (Santarem) شمال شرق لشبونة، ونازل النصارى في عدة معارك موفقة، لكن الخليفة أمر بالانسحاب فجأة قبل فتح المدينة، وأثناء الانسحاب باغته العدو، حيث أصيب بجروح توفي على إثرها. حدث ذلك في شهر ربيع الآخر (سنة 580هـ-تموز-يوليو 1184م). وقد بويع بالخلافة ولي عهده وأكبر أبنائه أبو يوسف يعقوب الذي لقب . فيما بعد . بالمنصور، والذي عاد إلى مراكش لإخماد بعد التمردات الداخلية، قبل أن يبدأ العدة لمواصلة أعمال الجهاد في الأندلس، حيث عبر المضيق من جديد سنة 586هـ- 1190م[2].

في تلك الأثناء كانت الأندلس تعرف تطورات جديدة، حيث إن ملك البرتغال ابن الريق (الفونسو انريكيث) توفي سنة (581 هـ-1185م) وخلفه ابنه شانجه Sancho I الذي بدأ يشن الغارات على الأندلس منذ سنة 585 هـ-1189 م. ساعدته على ذلك ظروف المغرب، إذ انشغل الخلية المنصور الموحدي بإقرار السلم، كما ساعدته الإمدادات الصليبية المتجهة إلى الشرق لنجدة الجيوش الصليبية هناك.

[1] -ا بن بسام في الذخيرة عن ابن حيان، في أوصاف الحفلات والقصور المأمونية، القسم الرابع، المجلد الأول ،ص 99.

[2] - ابن بسام ، المصدر السابق ، ص 100.

استطاع شانجه الأول احتلال مدينة شلب الأندلسية، بمساعدة السفن الصليبية التي تحمل آلاف المقاتلين. ولم يكن ذلك ليتم بسهولة، بل إن المدينة، بعد ضرب الحصار حولها والقيام بمحاولات عديدة لاقتحامها، ثبتت بقوة. وحين استطاع المهاجمون قطع الماء عن المدينة اضطرت لطلب التسليم من شانجه الأول، بينما رفض حلفاؤه الصليبيون ذلك، ورغبوا بقتل أهلها المسلمين جميعا لكنه أقنعهم بالاكتفاء بسلب المدينة بعد أن يتركها لهم أهلها بكل ما فيها. هكذا دخلوا المدينة.

بعد حصار دام ثلاثة شهور – (سنة 585هـ-1189م). غير أن الخليفة الموحدي الذي عبر المضيق في السنة الموالية كما مر بنا، وبعد عدة محاولات نجح في استعادة شلب، وقصر الفتح (قصر أبي دانس)، جنوب شرق لشبونة، قبل أن يعود إلى مراكش في رمضان من نفس السنة.

وفي سنة 1194 انتهت الهدنة التي كانت تجمع الموحدين بالقشتاليين، الذين بدأوا بمهاجمة الأندلس، التي اضطر الخليفة للعبور إليها من جديد سنة591هـ-حزيران- يونيو 1195م) لمواجهة قوات الفونسو الثامن في معركة الأرك التي حقق فيها المسلمون انتصاراً كبيراً، وقد عاد الخليفة إلى مراكش سنة (594 هـ-1198م)، بعد القيام بعدد من الإصلاحات والإنشاءات العمرانية. وفي السنة التالية توفي الخليفة المنصور، الذي خلفه ابنه أبو عبد الله محمد الملقب بالناصر لدين الله، في وقت عاد فيه الفونسو الثامن إلى عدوانه على الأندلس، مما دفع بالخليفة الجديد إلى العبور إلى إلى الأندلس سنة 607 هـ- 1211م، حيث وقعت مواجهة دموية عند حصن العُقاب سنة 609 هـ-1212 م. و كانت مع ألفونسو جيوش صليبية من عدد من دول أوربة، التي تولى البابا أنوصان (أنوسنت الثالث (Inocent III تشجيعها على المشاركة في حرب المسلمين في الأندلس. وانتهى اللقاء بهزيمة جيش الناصر، وتشتت قوة الموحدين. وقد عاد الناصر إلى مراكش حيث توفي سنة (610هـ-1213م) ربما كمدا من نتيجة معركة العُقاب التي عدت نذيرا بانحلال الدولة الموحدية وانهيارها[1].

[1] - ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص 249.

خلف الناصر ابنه بالمستنصر بالله، الذي عقد معاهدة سلم مع قشتالة بعد وفاة ملكها الفونسو الثامن. لكن الأندلس خسرت في هذه الفترة بعض القواعد، منها قصر الفتح (قصر أبي دانس) في شهر ربيع سنة 614 هـ-1217م ، التي استولى عليها بيد ملك البرتغال الفونسو الثالث، بمساعدة أسطول الصليبيين الألمان الذي كان متجها إلى الشرق. وقد تولى بعد ذلك بعدة سنوات، أبو محمد عبد الواحد (المخلوع)، الذي خلع بعد شهر من اعتلائه العرش لتتم مبايعة أبي محمد عبد الله الملقب بالعادل، الذي لم يعمر هو الآخر في الحكم إلا مدة قصيرة، حيث بويعأبي العُلى الملقب بالمأمون ثم ابنه أبي محمد الملقب بالرشيد (640هـ-1244م)

و من جانب الفقهاء شكل ا شريحة اجتماعية لها وزنها وخطورتها. ولم تعد لهم تلك الصبغة الروحية، بل حلت محلها صبغة مادية سلطوية. ولذلك أصبحوا يتطلعون إلى الاستقلال عن الحكم وتأسيس إمارات خاصة، وهي مسألة لا يمكن اعتبارها " ظاهرة عجيبة " بل هي نتيجة تطور طبيعي لفئة تكدست لديها الثروات، وحازت على الأراضي، وتكونت لديها قاعدة مادية أهلتها للمطالبة بالاستقلال والحكم وهو ما يسميه ابن خلدون " **بالملك الأصغر** "الذي يعد نتيجة لما يحدث في الملك الأعظم من عوارض الجدة والهرم " مستلهما مقولته هذه من دولة المرابطين.[1]

المطلب الثاني : نقص النكبات في عهد الموحدين

إذا البداية خاطئة فالنهاية قد تكون سريعة ومؤسفة.. ويكون الوضع أخطر في حال بناء الدول؛ لأن الضرر يكون أعم وأكبر..حتى ولو ظهر بعض الخير والصلاح تظل أضرار البداية قائمة بتداعياتها ونتائجها.

وتتمثل البداية الخاطئة بانحراف الهدف أو السلوك عن المسار الصحيح في عملية التأسيس وكلما استمر هذا الخطأ تتراكم الأضرار وتشتد.

وقد شهد العالم الإسلامي – عبر تاريخه -كثيراً من الدول التي قامت على أرضه.. وتنوعت غاياتها وأهدافها وظروف نشأتها.بعض هذه الدول كان ظهورها ضرورياً لإنقاذ الأمة كالدولة الزنكية

[1] - ابن الخطيب،المصدر السابق، ص 250 .

والأيوبية، بينما كان ظهور دول أخرى وسيلة في تدمير الأمة كالدولة العبيدية، وبعض الدول كان ظهورها سبباً في إضعافها وإرهاقها وتشتيت كيانها كدولة الموحدين التي قامت على أسس وأهداف لا علاقة لها بنهوض الأمة أو إنقاذها، بل أدت انتكاسة إسلامية بشق صف المسلمين وسقوط دولة المرابطين التي كانت أحوج ما تكون لتكاتف المسلمين في مواجهة الأعداء المتربصين بهم.

صحيح أن دولة الموحدين خدمت الإسلام والمسلمين في بعض فترات تاريخها القصير، إلا أن عوامل ضعفها ظلت باقية منذ البداية وحتى النهاية؛ وهذا كان له انعكاس سلبي على الأمة الإسلامية.

كانت الأندلس في عهد ملوك الطوائف مقسمة إلى عدد من الدويلات، إضافة إلى أن هذه الدويلات كانت مقسمة داخليًّا، ووصل تعدادالدويلات إلى اثنتين وعشرين دويلة، عُرفت بدول الطوائف أو ملوك الطوائف. وكانت أوضاع هذه الدويلات في غاية السوء؛ فقد كانت هناك نزاعات بين الإخوة فيما بينهم، الأمر الذي تطور إلى أن يستعين البعض بالنصارى في حربه ضد المسلمين[1]

أمام حالة التفكك التي عرفتها الأندلس خلال عصر ملوك الطوائف، وإلحاح إسبانية النصرانية في إنهاكها، واستنزاف قواها، سقطت طليطلة في سنة 1085م، وقد اتجهت الأنظار إثر ذلك صوب عدوة المغرب مستنجدة بالمرابطين، حيث لبى أميرهم يوسف بن تاشفين النداء، وعبر الجيش المرابطي إلى الأندلس مجاهدا في سبيل الله[2].

كانت معركة الزلاقة في شهر رجب سنة 497هـ – 1086 ، وقد رد الجيش القشتالي على أعقابه، وكان نصرا عزيزا، اهتزت له النفوس في الأندلس والمغرب وبقاع العالم الإسلامي. قبل عودة أمير المرابطين إلى المغرب جمع رؤساء الأندلس .كما أخبرنا أحدهم . فنصحهم ووعظهم: "وأمرنا بالاتفاق والائتلاف، وأن تكون الكلمة واحدة، وأن النصارى لم تفترسنا إلا للذي كان من تشتتنا، واستعانة البعض بهم على البعض. فأجابه الكل أن وصيته مقبولة، وأن ظهوره مما يجمع الكل على

[1] - ابن بسام ، الذخيرة ،ص 128.

[2] -ابن بسام ، نفسه،ص 128

الطاعة والجري إلى الحقيقة". عاد الجيش المرابطي إلى المغرب في شعبان سنة 479هـ- 1016م، ولقب يوسف بن تاشفين "أمير المسلمين" بعد وقيعة الزلاقة الشهيرة.

أرسل ألفونسو السادس . عقب استيلائه على طليطلة . قوات للإغارة على بعض مناطق شرق الأندلس. ثم ابتنى قرب مرسية حصنا ضخما، ليكون قاعدة للإغارة على تلك المناطق، في مكان اسمه لييط (Aledo) ، شحنه بالمقاتلين، حتى بلغت حاميته ثلاث عشر ألف مقاتل، فيهم ألف فارس..

وجد المعتمد بن عباد أنه لابد من الاستعانة بالمرابطين مرة أخرى لإنقاذ شرق الأندلس من هذا العيث، فعبر بنفسه إلى المغرب، والتقى بأمير المسلمين، وعرض عليه الأمر، فوعده يوسف بن تاشفين خيرا.

وفى يوسف بوعده، فجاز إلى الأندلس . جوازه الثاني . سنة 881 هـ – 1088م، وتوجه بقوته إلى حصن لييط، ولحق به عدد من ملوك الطوائف بقواتهم، وضربوا الحصار حول الحصن، لكن لم يتمكنوا من فتحه. ثم آثر يوسف الانسحاب، حين علم مجيء ألفونسو بجيشه. وفضل هذا الأخير إخلاء الحصن بعد تهديمه، وذلك سنة 482هـ -1089م، وعاد يوسف إلى المغرب، وترك في الأندلس حامية، كما فعل بعد معركة الزلاقة[1].

ساء ت أحوال الطوائف . مرة أخرى . وعادوا إلى خلافاتهم، وبسبب ذلك ترددت الكتب والفتاوى من مسلمي الأندلس، إلى يوسف بن تاشفينبإنجادهم وإنقاذهم، من ملوك الطوائف هذه المرة. كما وردت الفتاوى من بعض فقهاء المشرق وعلمائه، أمثال: أبي حامد الغزالي (450-505 هـ=1058-1111م) وأبي بكر الطرطوشي 451-520هـ-1059-1126م). وأمام ظروف الأندلس وأحوالها استجاب يوسف لذلك. وجهز جيشا وعبر الأندلس . للمرة الثالثة . في أوائل سنة

[1] - Mariana: Historia General de Espana (Cap. 16

483هـ1090م، واتجه لتوه إلى طليطلة[1] التي أصبحت عاصمة قشتالية. وحين شاهد ابن تاشفين مناعتها، تركها عائدا إلى جنوب الأندلس متوجها صوب غرناطة حيث استلم له أميرها عبد الله بن بلقين في شهر سنة 483هـ-أيلول 1090م. وفرح أهل الأندلس لهذا.

عاد أمير المسلمين إلى المغرب، وترك عددا من قادته، ليتموا خلع ملوك الطوائف. وخضعت قرطبة . وكانت تابعة لبني عباد . للمرابطين سنة 484هـ-1091م، وقتل حاكمها الفتح بن المعتمد الملقب بالمأمون.

لما علم ألفونسو السادس باتجاه الجيش المرابطي صوب إشبيلية . بعد إخضاع قرطبة . بقيادة سير بن أبي بكر، أرسل إليهم حملة بقيادة البرهانش مؤلفة من عدة آلاف، من فارس وراجل. دارت في أحواز إشبيلية معركة عنيفة انتهت بانتصار المرابطين، بعد ما أثخن القائد القشتالي بالجروح.

استسلمت إشبيلية للمرابطين . في شهر رجب من السنة المذكورة . بعد مقاومة شديدة من المعتمد، الذي أسر ونفي إلى أغمات في المغرب، وتوفي هناك في شوال سنة 488 هـ (تشرين الأول-أكتوبر 1095م).

وأخذت المرية من حاكمها معز الدولة أحمد بن المعتصم بن صمادح في رمضان سنة 484هـ-1091م، ومرسية في شوال، وكذلك شاطبة ومدن أخرى سنة 485هـ-1092م.

بعد ذلك ستأتي صفحة أخرى من جهاد المرابطين في الأندلس، حيث أنفقوا جهودا كبيرة لإنقاذ بلنسية من الطاغية القمبيطوروالقشتاليين. دخل المرابطون بلنسية، معيدين فتحها، في شهر رجب سنة خمس وتسعين وأربع مئة للهجرة، وحدثت موقعة أقليش بين المرابطين والجيش القشتالي الذي تمزق، وقتل فيه الابن الوحيد لألفونسو السادس، سنة 501 هـ-1107م. بعدها دخلت سرقسطة والثغر الأعلى تحت سلطان المرابطين، كما دخلت تحت سلطانهم مملكة بطليوس، في غرب الأندلس، التي كان يحكمها بنو الأفطس سنة 488هـ-1095م . . وأرسلت . بعد ذلك . حملة

[1] - Espana del Cid (Madrid 1947) p. 306

مرابطية إلى أشبونة (لشبونة)، حيث كانت تحتلها الجيوش القشتالية وفيها حامية من جيشهم. واستطاع المرابطون إخضاعها[1].

عبر يوسف بن تاشفين إلى الأندلس عبوره الرابع . سنة (490هـ-1096م)، وكان قد عهد بأمور الأندلس إلى كبير قادته سير بن أبي بكر. ووجه جيشا بقيادة محمد بن الحاج صوب طليطلة عاصمة قشتالة. والتقى بالقشتاليين بقيادة الفونش السادس قرب كنشرة(Consuegra) ، فانهزم الجيش القشتالي متكبدا خسائر كبيرة سنة 491 هـ-1097 م..

توجه يوسف إلى قرطبة سنة 495هـ-1101م لأخذ البيعة لابنه أبي الحسن علي. وكان بصحبته أخوه الأكبر أبو الطاهر تميم. اشترط في هذه البيعة لعلي أن ينشئ في الأندلس جيشا مرابطيا ثابتا، يوزعه على سائر القواعد. وعاد يوسف بن تاشفين إلى مراكش، حيث توفي أول المحرم سنة (500هـ-2 أيلول-سبتمبر 1106 م). أوصى ابن تاشفين ولي عهده بأمور تتعلق بحسن السياسة والرفق والعناية بالأندلس. خلف علي أباه يوم وفاته، وأخذت له البيعة، واختار يوسف عليا ليخلفه، لما يتمتع به من النباهة والحزم والتقوى، وكان مقتفيا سيرة والده. وعبر . في السنة الأولى من حكمه . إلى الأندلس مجاهدا، وأجرى بعض التغييرات الإدارية، فعين أخاه أبا الطاهر تميما قائدا أعلى للجيش، ثم عاد إلى المغرب[2].

[1] - ابن الأثير،المصدر السابق، ج 4، ص 143.

[2] - نفسه، ص144.

الفصل الثالث:

طيلة النكبات قبيل سقوط الأندلس

من خلال الشعر لبني الأحمر

المبحث الأول: الشعر الأندلسي واتجاهاته " لبني الأحمر"

المطلب الأول: اتجاهات الشعر الأندلسي

المطلب الثاني: الأغراض الشعرية في الأندلس

المبحث الثاني: عوامل ازدهار الحركة الشعرية في عهد بني الأحمر

المطلب الأول: بروز ملوك الشعراء ومكانة الشعر لديهم

المطلب الثاني: الهجرة من المدن الأندلسية إلى غرناطة

المبحث الثالث: طيلة النكبات قبيل سقوط الأندلس من خلال شعر أبو البقاء الرندي

المطلب الأول: أبو البقاء الرندي

المطلب الثاني: الشعر الأندلسي واتجاهاته :"لأبو البقاء الرندي"

المطلب الثالث: رثاء المدن والمماليك في نونية أبي البقاء الرندي:

طيلة النكبات قبيل سقوط الأندلس من خلال الشعر لبني الأحمر:

لقد كان للطبيعة البلاد وتنوعها دور هام في ظهور الشعر الأندلسي في ظروف واضحة وبارزة بالإضافة إلى التكوين الثقافي للسكان ولقد تميز الشعر الأندلسي بنغم خاص لاسيما الفنون الشعرية. وقد ظل الشعر الأندلسي يقتفي آثار الشرق وتميز بمكانة مرموقة في قلوب الأندلسيين.

المبحث الأول: الشعر الأندلسي واتجاهاته " لبني الأحمر":

الشعر هو فن من فنون كلام العرب، وهو المسمى بالشعر عندهم، ويوجد في سائر اللغات[1].

ومن الأسباب التي دعت إلى فضة الشعر في الأندلس:

1- طبيعة بلاد الأندلس وما فيها من مناظر ، واكتساب معاني لها دقة.

2- اهتمام ملوك الأمراء بفرض الشعر حيث أصبح قول الشعر زينة لكل أديب وغيرهم.

3- كثرة جمهرة العرب في الأندلس، وشدة محافظتهم على تقوية لسانهم[2].

المطلب الأول: اتجاهات الشعر الأندلسي:

أ- **الاتجاه المحافظ:**

لقد تجلت مظاهر هذا الاتجاه في أن الشعر الأندلسي كان يهتم بالموضوعات التقليدية من فخر وحماسة ومدح وغيرها، وقد سار على منهج الأقدمين في بناء القصيدة، وتأليف أسلوبها[3].

فكان السلاطين يتخذون من الشعر أداة ترويج ووسيلة دعاية، أما الغزل كان مظهرا رئيسيا في أوساط الفرسان.

---

[1] - ابن خلدون(عبد الرحمن)، المقدمة، تح: عبد الله محمد الدرويش، ج2، ط1، دار البلح ، دمشق، 2004، ص396.

[2] - أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، القاهرة، 1985، ص81.

[3] - نفسه، ص81.

ب-**الاتجاه المحدث:**

هذا الاتجاه سار على طريقة مسلم بن الوليد وأبو العتاهية، وهم من دعاة التجديد الذين ثاروا ضد الاتجاه المحافظ، وخالفوا فيه طريقة القدماء في بناء القصيدة[1]، ونقل الاتجاه في الشعر إلى الأندلس في عهد عبد الرحمن الأوسط.

ج- **الاتجاه المحافظ الجديد:**

ظهر هذا الاتجاه بسبب تطرف الاتجاه المحدث، فقد عهد إلى الإفادة من رقي العقل العربي لما بلغته الثقافة العربية الإسلامية، ظهر هذا الاتجاه في فترة الخلافة، لأنه مرتبط بالاستقرار الحضاري، ومن أبرز مظاهره هو عناية الخليفة عبد الرحمن الناصر بشعر أبي تمام.

المطلب الثاني: الأغراض الشعرية في الأندلس:

لقد ترك الأندلسيون قصائد في المديح والهجاء والرثاء والفخر والزهد والتصوف والفلسفة وغير ذلك. وكان ذلك من طرف الحكام والأمراء والشعراء ،فمنهم المتفوق والمكثر ومنهم المقل ،وكانت أشعارهم بين الغزل والفخر والشكوى[2] .

- الهجاء :

لم ينتشر هذا اللون من الشعر كثيرا في عصر بني الأحمر، وذلك لعدم وجود دوافع قوية بارزة، فظّل محصورا بين بعض الشعراء. فإن الهجاء[3] بأقسامه المختلفة، نجد أنّه لم يظهر عندهم ما يعرف بالهجاء القبلي، الذي يتوجه به الشاعر إلى قبيلة معادية لقبيلته، ولم يكن للقبيلة دور في مملكة غرناطة ونظامها السياسي، وذلك راجع لأسباب مختلفة منها أن ملوك بني الأحمر حكموا البلاد من دافع

[1] - عائشة إبراهيم ، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في صري الطوائف وبني الأحمر، مذكرة لنيل دكتوراه في اللغة العربية ، جامعة أم درمان،2007- 2008، ص21.

[2] - يوسف فرحات ويوسف عبد، معجم الحضارة الأندلسية، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، د.ت، ص5.

[3] - الهجاء: في اللغة معناه الشتم بالشعر وهو خلاف المدح أما اصطلاحا فقد كثرت المعاني بأن الهجاء هو ضد المديح فكلما كثرت أضداد المديح في الشعر كانت أهجى له، أنظر: ابن منظور، ، لسان العرب، ص56.

ديني، وذلك راجع إلى نسب الصحابي الجليل سعد بن عبادة الأنصاري، ومن سمات هذا العصر كذلك أنه احتوى على كثير من النكبات التي أدت إلى ضياع كثير من المدن.

أما بالنسبة للهجاء العنصري، ونعني به ذلك الذي يأتي به الشاعر تحقيرا للعرب وإنكار لفضلهم

ويكون صادرا عن غيرهم[1]، فهذا النوع لم ينتشر أيضا، ويرجع ذلك إلى الظروف السياسية التي وصلت إلى حدّ السيف.

ومن أنواع الهجاء لتي انتشرت في هذه الفترة الهجاء الاجتماعي، وبه تعرض الشعراء للظواهر المفاسد والعيوب التي طغت على المجتمع مثل: العادات القبيحة، العادات السيئة، الجرائم الأخلاقية، ومن هنا قام هذا النوع من الهجاء يرصد عيوب المجتمع الأندلسي[2].

ومن عادات المجتمع وتقاليده أن الناس يولون الغني تقديرا، على عكس الفقير، ويقول في هذا الصدد أحمد بن جزي الكلبي في الغنى:

أرى الـناس يـولّون الغـني كـرامة وإن لم يكن أهلا لرفعة مقدار

ويلوون عن وجه الفقير وجوههم وإن كان أهلا أن يلاقى بإكبار[3]

ومن هؤلاء الشعراء نرى آبا حيان الغرناطي يهجو أهل عصره، ويصفهم بالذئاب في الخبث والمراوغة، وبالزنادقة في الفسق والضلالة، يقول:

ذئاب في ثيـاب قـد تبـــدّت لرائيها بأشكال الرجـال

ومن يك يدعي منهم صلاحا فزنديق تغلغل في الضلال

يـرى الجـّهـال تـتبـعه وترضى مـشـاركـة بأهـــل ومال

فينهب مالهم ويصيـب منهم نساءهم بمقـبوح الفعال[4].

---

[1] - نافع عبد الله ، الهجاء في الشعر العربي الأندلسي، ص56.

[2] - نفسه، ص81-82.

[3] - ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص53.

[4] -المقري ، المصدر السابق، ج3، ص171.

وأبو حيان قد هجا الناس ونقدهم بناءا على تجاربه معهم، وأرجع ذلك إلى خصالهم، دون أن ننسى خطر الذي ساد الكبراء أصحاب الهمم الغالية، ويسقيهم كأس الذل والهوان، فربما يفقدون مناصبهم، يقول:

حب الرياسة يا له من داء كم فيه من محن وطول عناء

طلاب الرياسة فنّ أعضاذ الورى وأذاق طعم الذلّ للكبراء

إن الرياسة دون مرتبة التقى فإذا اتّقيت علوت كلّ علاه[1]

- الوصف:

لقد تفنن الأندلسيون في شتى الأوصاف حتى فاقوا المشارقة في بعضها كوصف الطبيعة الناعمة، والمدن العامرة[2]، ولقد كان ولع الشعراء الأندلس بالوصف[3] عظيما؛ ظلت طبيعة الأندلس الفاتنة تتصدى باستمرار لعيون الشعراء، وتبعث فيهم وصال الحبيب وبهجة النّفس، حتى وصلت قصيدتها إلى مستوى عال من النّضوج، وسبب ذلك ميل الشعراء وعنايتهم بالتفاصيل والجزئيات.

وتسابق الشعراء في وصف غرناطة، فهم لم يروا بلاد أجمل منها، ووصلت عندهم درجة الكمال في الجمال، ونراهم يقضون جلّ أوقاتهم في الوصف،بقول ابن الخطيب:

أحيّ يك يا معنى الكمال بواجب وأقطع في أوصافك الغّر أوقاتي

تقسّم منك الترب قومي وجيرتي ففي الظّهر أحيائي وفي البطن أمواتي[4]

وقد أسرت هذه المدينة قلوب الشعراء وعقولهم، فهم لا يستطيعون أن يفارقوا ديارها ومناظرها الجميلة، وتبعث على الطمأنينة في كل نفس تراها، يقول أبو الحجاج يوسف بن سعيد بن حسان:

سقى الله من غرناطة كلّ منهل بمنهل سحب ماؤهن هريق

---

[1] - المقري ، المصدر السابق، ج7، ص116.

[2] - بطرس البستاني، أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، حياتهم وأثارهم ، دار نظير عبود، بيروت،(د.ت)، ص65.

[3] - الوصف: إن الوصف هو جزء من منطلق الإنسان لأن النفس محتاج إلى ما يكشف لها من الموجودات منها، أنظر: مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج3، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1974م، ص119.

[4] - المقري ، المصدر السابق، ج8، ص194.

ديار يدور الحسن بين خيامها وأرض لها قلب الشجّي مشوق

وما شافني إلا نضارة منظر وبهجة واد للعيون تروق[1].

- الرثاء:

الرثاء هي لغة القلوب وحديث العاطفة، وهو أية المخزون وصرخته وقطعه من قلب الموفود وكبدت المتقطع وأية ناطقة بفداحة الخطب وهول المصاب، لا ترسله الألسنة. وإن الرثاء في الشعر العربي يحمل ثلاث ألوان: هي الندب، النواح وأيضا التأبين، وكذلك العزاء، وتعد هذه الألوان الثلاثة مائلة في الشعر الأندلسي[2].

- المدح:

اتبع شعراء الأندلس في مدائحهم المشارفة، فحافظوا على الأسلوب القديم وعملوا بالاستسهال وحسن التخلص وأحكام البناء، وإذا شذّ بعضهم عن هذا السبيل، فاستهل بالمدح من غير توطئه عابوا عليه ذلك[3].

وحاول الشعراء في مدحهم بيان أثر هؤلاء في نصرة الإسلام، فهم حماة الدين وحملة لوائه، ويقول في هذا الصدد عبد الله بن محمد بن جّي في مدح السلطان أبي الحجاج يوسف الأول:

ومن كبني نصر جلالة منصب بهم نصر الرحمن دين الهدى نصرا

سلالة أنصار النّبي محمد فسل أحدا ينيبك عنهم وسل بدرا[4]

ومن هذا جاء في شعر علي بن أحمد الخشني في مدحه لملوك بني الأحمر، في زمن أبي الحجاج، فالصور تتكرر حول نصرة الإسلام منذ بداية الدعوة، يقول:

---

[1]- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص27.

[2]- ابن الخطيب لسان الدين، الديوان، تح: محمد مفتاح، ج2،ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1989م، ص537.

[3]- بطرس البستاني، المرجع السابق، ص40- 41.

[4]- ابن الخطيب ،الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3، ص302.

أنتم بني نصر نصرتم ملة الإسلام أضـفـت على إسـرائـه زلـزالها

أحـرزتـم وقـت السقيـفة عـودها دون الأختام وقودها وسكاها

بـدروما بـد زور ّدم قـلبـهـا وبجنادل الطاغوت تملأ حالها[1].

- الغزل:

يعد شعر الغزل أرق أنواع الشعر وأعزها ألفاظا وأسهلها وأنسبها إلى النفس وأحبها إلى القلب، وكان كل شيء قفي بيئة الأندلس الجميلة يغري بالحب ويدعو لإلى الغزل.من ثم لم يكن أمام الشاعرة إلا أن تنقاد لعواطفهافأحبت وتغزلت، وأوضح سمات هذا الشعر تتجلى في رقّته وعذوبته الناشئة من التفنّن في وصف محاسن من يقع في عيون الشعراء من النساء الجميلات، والمتوقع أن ينفعل الشاعر الأندلسي بمؤثرات البيئة الجديدة، وظل الغزل الأندلسي مقلدا للمشرق[2].

وحافظ الشعراء على الصور التقليدية التي تدور بين المحبين، والتي تتراوح بين القسوة واللين، والوصل والهجران، والشكوى والعتاب، والدموع والبكاءوجاء هذا اللون من الشعر حسيّ ا بعيدا عن تصوير خلجات النفس حق وصل درجة المجون الفاحش[3].

وحاولوا أن يكتموا حبهم على الناس وأن يبقوه سرا، وقد حرصوا كثيرا على هذا، ولكن الدموع جرحت من عيونهم رغما عنهم يقول ابن الخطيب:

يا غز إلا ورده في أدمعي كلما شاء، ومرعاه الحشا

قد فشا هيامي في الورى وهو لولا دمع عيني ما فشا

ولكم أثرت كتمان الهوى غير أن اللّمع بالسّر وشى[4]

[1] - المقري، المصدر السابق، ج9، ص49، وأيضا: ابن الخطيب، المصدر السابق، ج4، ص152- 153.

[2] - عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص169.

[3] - بطرس البستاني، المرجع السابق، ص70.

[4] -ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص164- 165.

المبحث الثاني: عوامل ازدهار الحركة الشعرية في عهد بني الأحمر:

تأثرت الحركة الشعرية في عصر بني الأحمر بمجموعة من العوامل التي ساعدت على تقدمها وازدهارها. وكانت هذه الحركة في النصف الأول من القرن السابع الهجري، ونعمت المملكة بالهدوء والطمأنينة[1].

المطلب الأول: بروز ملوك الشعراء ومكانة الشعر لديهم:

تبوأ الشعراء مكانة هّامة في مجتمعاتهم ، وكان لهم دور بارز في كسب رأي عاّمة الناس بمختلف طبقاتهم، وهذا يرجع إلى طبيعة الإنسان العربي، التي اتسمت بالعاطفية ورقة المشاعر من جانب والمتتبع للتاريخ العربي، يرى أن بلاطات الحكام والخلفاء، لم تخل منهم ، فقد جعلوهم المدافعين عن سياستهم الداخلية تجاه شعوبهم، أو الخارجية في مواجهة خصومهم، على النحو الذي ساد في سياسات ملوك بني الأحمر. لقد كان للشّعر مكانة لدى ملوك، فينبع منهم من يقرض الشعر ودرجوا على استوزرا الشعراء، فكان الوزير نديم الملك،وشاعره، ومدبر مملكته، فاعتّز الشعراء بذلك، وسمت مكانتهم، وحلفت بهم دور الأمراء، ودّر عليهم الّرزق، كما اتّفق لابن الخطيب عند بني الأحمر[2]. وكان ملوك غرناطة جريا- على سنن ملوك ا لأندلس الّسابقين- من حماة الأدب فظهرت طائفة من كبار المفكرين والكتاب والشعراء الذين أنتجوا إنتاجا علميا في مجال العلم والأدب[3].

وقد عرف عن ابن الأحمر إلى جانب بنائه القصر المشهور أنّه كان يعقد مجلسا عاما يومين في الأسبوع، ترتفع إليه الظلمات، ويشافهه طلاب الحاجات، وينشده الشعراء، وتدخل إليه الوفود ويشاور أرباب النصائح في مجلس يحضره أعيان الحضرة وقضاة الجماعة[4].

---

[1] -محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص304.

[2] - جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، ط2، دار المعارف، 1966م، مصر،ص63.

[3] - عصام الدين عبد الرءوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة تمضية الشرف، القاهرة، (د.ت)، ص304. وأيضا: صلاح جرار، قراءات في الشعر الأندلسي، دار المسيرة، (د.ت)، ص48.

[4] -ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، ص23.

وكان من بين كتّابه المحدّث الشهير أبو الحسن علي بن محمد بن سعيد اليحصبي اللّوشي. وكان من شعرائه أبو الطيّب الرّندي صاحب المرثية الشهيرة، وكان أثيرا لديه، وقد نظم في مدحه غرر قصائده[1]. كما نجد كثيرا منهم ممن خاضوا ميادين الشعر، منهم محمد الثاني الملقب بالفقيه، وأبا عبد الله محمد الثالث، والملك يوسف الثالث، وله ديوان شعر احتوى على معظم أغراض الشعر العربي من مديح وفخر وغير ذلك الأغراض الشعرية.

وجاء في وصف محمد أبي عبد الله(محمد الثالث) الملقب بالمخلوع، أنّه كان يقرض الشعر ويعرف مقادير العلماء، ومن شعره:

ملّكتك القلب وإنّي امرؤ علّي ملك الأرض قد وفّها

أوامري في الناس مسموعة وليس مني في الورى أشرقا

نحن ملوك الأرض من مثلنا حزنا تليد الفخر والمطّرفا[2]

يقول ابن الخطيب :" وقلت أصف ليلة أنسي حسبما كلّفت ذلك، و"قلت من النظم القديم باقتراحه رحمة الله" وما أكثر هذه الأشياء التي يراها السلطان أبو الحجاج وغيره من السلاطين الذين اتّصل بهم ابن الخطيب، فيريدون فيها شعرا، فيلبي هذه الإرادة ابن الخطيب، ومن ثمة نجد شعرا كثيرا قاله باقتراح"[3].

ويصعب اليوم أن نتحدث عن شعرائهم، فكّل يقرض الشعر ويرجله، وجميع الملوك والوزراء ورجال الدولة ورجالالسيف والقلم وقد نظموا الشعر وتغنّوا به[4].

[1] -عنان، المرجع السابق، ص460.

[2] -ابن الخطيب، الإحاطة،ج1،ص 316.

[3] -ابن الخطيب لسان الدين، الديوان، ج1، ص18.

[4] -هونكا زغريد، شمس العرب تسطع على الغرب،ط8، دار صادر، بيروت، 2002، ص506.

والتنافس بين الأمراء والحكام، لم يقتصر على الجانب السياسي، بل كان يشمل الناحية الأدبية أيضا، وكان كّل أمير يعمل على أن يكون في كنفه من الشعراء ما يفوق ما لدى منافسه عددا ومكانة[1].

المطلب الثاني: الهجرة من المدن الأندلسية إلى غرناطة:

كانت مملكة بني الأحمر حاضرة الأندلس ولها شهرة عظيمة فيها الفتن الداخلية، وبدأت الصراعات بين اسبانيا المسلمة واسبانيا النصرانية بعد ثلث قرن عن سقوط معظم القواعد الأندلسية مثل: قرطبة واشبيلية وبالنسبة وغيرها من المدن في أيدي النصارى.

إن هذه المملكة العربية الإسلامية التي قامت في غرناطة أرسى دعائمها وأركانا محمد بن يوسف بن نصر، والمعروف بابن الأحمر حيث أخذ المسلمون يتجاوزون في ركن ضيق. بالجنوب يشيدون فيها قصور الحمراء التي لا تزال تتألف به إلى يومنا هذا، ويدافعون عنها دفاعا مجيدا نحو قرنين ونصف[2].

ولعّل السقوط المتصارع للمدن الأندلسية، وعدم وجود الفاصل الزمني بينهما، هو الذي دفع غرناطة لأن تنهض سريعا من أجل الدفاع عن الوجود العربي في الأندلس.

" إن العدد الكبير للمدن والحصون التي سقطت بيد الأسبان ، أّدى بالمسلمين قسرا أن ينحازوا في ركن ضيّق بالجنوب هو مملكة غرناطة"[3].

لقد شعر الأندلسيون أن غرناطة ستكون ملاذهم الأخير، والمتتبع للهزائم التي لحقت بالمسلمين يلاحظ هذا الأمر بشكل جلّي واضح فعندما سقطت(لوئة) بيد القشتاليين في سنة إحدى وتسعين وثمانمائة.هاجر أهلها إلى غرناطة، وعندما قدم ملك غرناطة إلى إلبيرة خرج أهلها وقدموا على غرناطة وأصبحت نهاية الأمر تجمعا لكل بلد تسقط في يد الأسبان[4].

---

[1] -الركابي، المرجع السابق،ص64.

[2] -شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط11، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)،ص 44.

[3] -المقري، المصدر السابق، ج5، ص194.

[4] -المقري، نفسه،ص 400.

ومع تزايد هجرات المسلمين الأندلسيين إلى غرناطة، فقد أصبحت المدينة مستوعبا لتراث الأندلس القومي والسياسي والفكري والحضاري بشكل عام. ونشأت عادات اجتماعية محببة في مجتمع غرناطة، كالصدق، العدل ، والتكافل وغيرها[1].

ولعّل من أهم الأسباب التي دفعت المسلمين للهجرة إلى غرناطة، الشعر الذي سيطر عليهم وهم محّقون في ذلك- بأنّ حكامهم لم يعووا قادرين على حمايتهم بسبب خلافاتهم السياسية وتصاعد الدعوات بينهم لمهادنة العدو مقابل التنازل عن المدن والحصون، وخير دليل على ذلك، ما أبداه أهل (مالقة) من صمود أمام النصارى قيل سقوطها، ومات منهم الكثير، ولم يدخل العدو المدينة إلا بالمكر والخديعة، فأمعن فيهم القتل والأسر وسبي النساء والأطفال.

وتعتبر هذه المرحلة من أخصب المراحل في مجال الشعر، بما اشتمل عليه في قصائد تحريض، حنين ورثاء، فمع ازديادها وكثرة عدد المهاجرين، استطاع ابن الأحمر أن يؤلف جيشا كبيرا عاودهم بعد حلم استرداد الممالك الضائعة، غير أن ذلك بقي حلما مستحيلا[2].

غير أن ما ذكر من عند العرب بأنه لم يتجاوز أكثر من مائتي شخص، فيه تناقضن لأن التجمع العربي الأصيل كان موجودا في غرناطة قبل قيام دولة بني الأحمر، مع الاعتراف بأثر الهجرات في نمو الدولة. ومن جانب آخر كانت الهجرات إلى غرناطة لم تتسارع إلا في بدايات ق9هـ.

ومما لاشك فيه أن الإنسان الذي يهجّر من وطنه يحمل ذكرى المظالم السابقة، وآلام المطاردة وكل هذا أدى إلى ازدهار شعر الاستنجاد، وتنامي الدعوات للنهوض من أجل استرداد ما ضاع من المدن والأعراض[3].

وخير دليل الذي وصل إليه الأندلسيون قول أبي الطيب صالح بن شريف الّرندي، إذ قال يندب بلاد الأندلس، بهدف بعث الهزائم تحريكها، كي يهب أهل الإسلام لنصرة الدين فيقول:

---

[1] -صادق جودت، تاريخ المغرب والأندلس،ط1، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، 1997، ص291.

[2] -يوسف عبد،أصوات الهزيمة في الشعر الأندلسي، ط1، دار الفكر، بيروت،1993م، ص12.

[3] -عنان، المصدر السابق،ص53.

وطـفـلـة مـا رأتـهـا إذا بـرزت كـأنما هـي ياقـوت ومـرجـان

يقودها العلج للمكروه مكـرهة والعين باكية والقلب حيـران

لمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام وإيمان[1].

المبحث الثالث: طيلة النكبات قبيل سقوط الأندلس من خلال شعر أبو البقاء الرندي:

كان الشعر في العصر الأندلسي أهّم نوع من أنواع الأدب، ولذلك شجعت طبيعة الأندلس الجميلة الشعراء على نظم الشعر، فقد نظموا الكثير من القصائد في الغزل، الهجاء، المدح والرثاء كما أنّ الشعراء في الأندلس قد ابتكروا شكلا جديدا للقصيدة؛ غير هذا الأخير لشكل القصيدة التقليدية، وعرف باسم الموشحات الشعرية، ومن الذين برزوا وأبدعوا في رثاء المدن، هو أبو البقاء الّرندي صاحب المرثية الشهيرة، والذي لقبه المؤرخون بشاعر رثاء الأندلس.

المطلب الأول: أبو البقاء الرندي:

جاء أبو البقاء مع آخر أيام الموحدين في الأندلس، وعاصر وقعة العقاب، كان أبو البقاء في الثامنة من عمره تقريبا حين حدثت وقعت العقاب، كما أمضى أبو البقاء زهرة حياته في عهد الأمير محمد، وكان يلقب بالغالب بالله، هو الذي أسس الدولة، وأقام دعائمها، وجعل غرناطة عاصمتها، وبني الحمراء ذات الشهرة العالمية على أنقاض قلعة أموية قديمة.

وندرك من أشعاره أن حياته لم تكن سهلة ميسرة، ولا تسير على وتيرة واحدة، وإنما تعاورتها لحظات سعيدة وأخرى مضنية ويبدوا أنه تغّرب كثيرا، ونلمح ذلك في شعره[2].

[1] -المقري شهاب الدين، أزهار الرياض في أخبار عياض، ج1، تح: مصطفى الّسقا وآخرون، مطبعة فضاله، المحمدية، الرباط، 1979، ص50.

[2] -الطاهر أحمد مكي، دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة،ط3، دار المعارف، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ص287.

المطلب الثاني: الشعر الأندلسي واتجاهاته :"لأبو البقاء الرندي":

1- الرثاء:

الرثاء في اللغة: من الفعل (رثى) يقال: ثى الميت رثيا رثاه، ورثيت الميّت رثيا ورثاء ومرثاة ومرثية ورثيته مدحته بعد الموت وبكتيه[1].

الرثاء في الاصطلاح:هو تأبين الميّت وذكر محاسنه وفضائل أخلاقه، وهو تصوير ما يترك فقده من أثر في القلوب من أسى وحسرة وفزع سواء بالشّعر أو بالنثر، ولعلماء الشعر في رثاء أمواتهم قولان: جواز الرثاء لأنّه يزيل الهّم ويطمئن النفس، وهو مذهب أبي حنيفة[2].

2- التأبين:

عّرفه أهل اللغة بأنّه:" مدح الّرجل بعد موته"[3].

وقد اعتبر شعر الخنساء مزجا بين التأبين والرثاء، ولا فرق بين المدح والتأبين.

ذكره قدامة فقال:" لا فضل بين المدح والتأبين إلاّ في اللفظ دون المعنى"[4].

والتأبين هو أقرب إلى تعداد الخصال واز جال الثناء، بل إنّه إشادة بخصال المتوفى وذكر منزلة في عشيرته أو مجتمعه.

وقد عّرف الجوهري النّدب فقال:"هو بكاء الميّت وتعداد حسناته والنواح عليه بألفاظ حزينة وعبارات تذيب الأكباد الغليظة مما يصاحبها من صياح وعويل"[5].ومن هنا فالنّدب هو بكاء النفس

---

[1] -الخليل بن أحمد الفراهيدي،العين، تح: هنداوي عبد الحميد، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2003، ص97.

[2] -ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص19.

[3] -الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد، تذهيب اللغة،تح: عبد السلام هارون وآخرون،ج15، الدار المصرية، مصر، 1967، ص202.

[4] -بن جعفر قدامة، نقد الشعر، مطبعة بريل، لندن، 1956،ص5.

[5] -الجوهري إسماعيل بن حماد، الصحاح في اللغة، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، ج1، 1990،ص 223.

وأسفيها على فقدان الأهل والأقارب، بل يمتد إلى رثاء العشيرة والدولة حين تصاب بمحنة من المحن المحزنة.

3- اعزاء:

العزاء هو الصبر على ما يصيب الإنسان من مصائب وأقدار وأوجاع، وقد اقتصر مفهومها على مصيبة الموت التي تخطف الأحبة، والعزاء هو الصب ر عن كل ما فقدت، تقول: ط عّزيت فلانا أعزيه تعزية، آي آسيته، وضربت له الأسى، وأمرته بالعزاء فتعزى تعزيا، أي تصبر ّ تصبرا، وتعازي القوم: عزى بعضهم بعضا[1].

التعزية:هي الدعاء للميّت بالمغفرة وللمصاب بجبر المصيبة، وهي محتسبة ومأجور على فعلها، كما أنها تهّون المصيبة، وتحظ عل التزام الصبر واحتساب الأجر إذ يقول:

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي

وما يبكون مثل أخي ولكن اعزّي النّفس عنه بالتأسي[2].

4-النّعي:

النّعي هو الإخبار الموت المقرون بمدح الم ّ يت وتعداد صفاته، فنعى الم ّ يت ينعاه نعيا، ونعيا إذا أذاع موته، وأخبر به، وإذا ندبه[3]

جاء النّعي من قبل الرسول الكريم بقوله:إ"ّاكم والنّعي فإن النّعي من عمل الجاهلية[4]، وعلى هذا يكون النّهي عن النعي المشتمل على ذكر المفاخر وجلب الأحقاد والثأر مثلما ذكر ذلك الشاعر طرفة بن العبد عندما خاطب ابنه معبد بأن يرثيه بما كانوا يرثونه في الجاهلية.

---

[1] -ابن منظور ، المصدر السابق، ج1، ص52.

[2] -الخنساء، ديوان الخنساء، تح: إبراهيم عوض، مطبعة السعادة، القاهرة، 1985، ص255.

[3] - ابن فارس أحمد بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة، بيروت، 1979،ص 1036.

[4] -الترميذي أبو عيسى، السنن الترميذي(الجامع الكبير)، كتاب الجنائز، رقم904، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ج3، 1993، ص312.

5- النياحة:

النياحة هي إظهار الجزع ولتسخط على موت الميت، والإحساس بالفاجعة.

يعرفه القرافي: النائحة لفظا يقتضي فرط جمال الميت وحسنه، وكمال شجاعته وبراعته، وتبالغ فيما كان يفعل من إكرام الضيف، والضرب بالّسيف، والذّب عن الحريم والجار، ويعز وجود مثل الموصوف بهذه الصفات، ويعظم لتفجع على فقد مثله، وأن الحكمة كانت بقاءه وتطويل عمره لتكثر تلك المصالح في العالم..."[1] إذا فالنياحة مثل ما تقدم هي رفع الصوت والإحساس بالحزن ومجارات المحزون وأهله، ومواساتهبالبّكاء والشفقة عليه.

المطلب الثالث: رثاء المدن والمماليك في نونية أبي البقاء الرندي:

أهم الدول التي رثاها الشعراء دولة "بني المظف" وقد رثاها ابن عبدون[2]، ثم تأتي:" نونية أبي البقاء الرندي:، التي رثت حاضرة الأندلس بعد سقوطها، عندما تنازل ابن الأحمر(629- 897هـ) عن بعض القلاع والأمكنة والأسوار...

وقد نظم أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود الألبيري[3] نونية أخرى على شكل خطاب موجه إلى قبيلة " صنهاجة" وإلى شعب غرناطة بالذات.

والظاهر أن قافية النون لها نصيب في الحنين للأوطان، حيث في موضوع دعا الأندلسيين إلى أن يطلقوا عليها:" كنز الأدب"[4].

---

[1] - القرافي شهاب القرافي، الفروق للقرافي، تح: عمر حسن القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط1، ج2، 1424، ص172.

[2] - ابن عبدون: أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الفهري، عاش في بلاط المتوكل بن الأفطس، توفى سنة 523هـ/ 1134م، أنظر: لويس شيخو، مجاني الأدب في حدائق العرب، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ج5، 1913،ص241.

[3] - الألبيري: اشتهر اسمه في غرناطة وشاع علمه وارتسم بالصلاح وكان ينكر على ملكها كونه استوزر ابن نغزلة اليهودي وعلى أهل غرناطة انقيادهم له،أنظر: ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ج1، ص134.

[4] - سمى الأندلسيون هذه النونية، كنز الأدب لما فيها من تصوير بليغ لمنتزهات قرطبة، أنظر: المقري، المصدر السابق، ج1، ص541.

1- دراسة القصيدة:

تعالج نونية أبي البقاء الرندي ندب بلاد الأندلس، وهي قصيدة رثاء مفعمة بأعمق المشاعر وأسمى الأحاسيس، بكى فيها أبو البقاء مصير الإسلام والمسلمين بعد سقوط المدن مثل : قرطبة واشبيلية، وقد احتوت على مواعظ وحكم وبيان أحوال الدنيا وتقلبات الدهر، وكما اختار لها مطلعا من أجود ما قيل في الحكمة، وهذه الأبيات عبّرت عن الماضي، إلا أن أبا البقاء استطاع اضافة عبارات، فتميزت هذه الأبيات بخير مدخل وفق فيه الشاعر.

كما اختار الشاعر ألفاظا جيدة السّبك، واستخدامه للوسائل البلاغية الملائمة، وهذا دليل على ثقافة الشاعر وإتقانه، وترتيب أفكاره ويعطيها إيقاعا يميزها عن سواها[1].

عاشت مملكة غرناطة قرنين من الزمان بعد عصر أبي البقاء، وبها لاذت الحضارة الإسلامية في شبه الجزيرة لكن الجماهير فقدت حيويتها كجماعة مؤثرة ، وإن تميزت ببطولات فردية مناضلة، فكان الأمراء والحكام دون مستوى الأحداث تفكيرا وشجاعة وخلقا وعنادا في النضال[2].

2- أوليات الرثاء عند العرب:

لقد كان الرثاء يختلف ولعل الذي وصلنا إليه في رثاء النفس رثاء ابن خذاق العبدي، وقيل أنّ أول من بكى على نفسه وذكر الموت: يزيد بن حذّاق:

هل للفتى من بنات الدّهر من واقي أم هل له من حمام الموت من راقي

وأرسلوا فتية من خيرهم نسبا ليتسيدوا في ضريح القبر أطباقي[3]

وقسّموا المال وارفضّت عوائدهم وقال قائلهم: مات ابن خذّاق[4].

---

[1] -يوسف عبد، الشعر الأندلسي وصدى النكبات، ط1، ص53.

[2] - الطاهر المكي، المرجع السابق، ص325.

[3] -الأطباق هم المفاصل.

[4] -الدينوري ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج 1،تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر،1958، ص386.

كما نجد رثاء امرئ القيس الذي قال فيه ابن رشيق القيرواني في كتابه:" هو عندهم أفضل ابتداء صنعه الشاعر، وذكر الحبيب" ومما يذكر في مرثيته قول:

أغـنّي على برق أراه وميضـا يضيء حبيا في شماريخ بيض

ويهدأ بتارات سناه وتارة بنوء كـتعـتاب الكسـير المهـيض[1]

غرض الرثاء كان مع مجيء الإسلام، بالإضافة إلى حمولاته التربوية ومعانيه الفلسفية، مما اكتسبت مدلولا ومعنى من مبادئ العقيدة الإسلامية، مثل :ألفاظ الشهادة، الصلاة، الجهاد، الحساب، وغيرها، والإهمال للألفاظ المستكرهة على النّفس واللسان.

حيث برزت قصيدة في العصر الجاهلي تمثلت في رثاء المهلهل عدي بن ربيعة لأخيه " كليب" إذ قال في هذا الصدد:

أهـاج قـذاء عـيـني الأذكـار هدوا فالدموع لها انحدار

وأبـكـي والنـجـوم مطلّعات كأّن لم تحوها عنّي البحار

على منوالنعيت وكان حيّ ا لقاد الخيل يحجبها الغبار

أبت عيناي بعدك أن تـكفّا كأن غضا القياد لها شفار[2].

وما نستشفه من خلال هذا أنّ المهلهل يذكر أخلاقه ومكارمه، ويتوعد أعدائه بالثأر ولو بعد حين، وأقام حربا دامت أربعون سنة[3]، وموفي هذا الصدد يحاكي نفسه، وفقدان الأخ لأخيه يترك عمقا نفسيا صعبا، وفراغا كبيرا لا يملأه غيره.

فالرثاء غرض أنساني أصيل، وقد عرف هذا الفن في العصر الجاهلي، واكتسب عمقا وجمالية الأسلوب وتناسق الأفكار والعبارات مثل: أبو تمام، البحتري، ابن الرومي...

[1] - ينوء: ينهض قائلا. التعتاب: مشي البعير على ثلاث قوائم.

[2] -مهلهل بن ربيعة، ديوان مهلهل بن ربيعة، تق: طلال حرب، الدار العالمية، بيروت، 1992، ص31.

[3] -ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1نتح: عمر بن عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ص511.

وفي طليعة هؤلاء الشعراء يأتي شعر أبي تمام الطائي في رثاء ابن قبيلته محمد بن حميد الطوسي، ومما جاء في مرثيته:

كذا فليجّل الخطب وليفضح الأمر فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

فتّى كلّما فاضت عيون قبيلة دما ضحكت عنه الأحاديث والذكر

فتى مات بين الضرب والطعن ميتة تقوم مقام النصر إذ فاته النصر

فأثبت في مستنقع المّوت رجله وقال لها من تحت أحمصك الحشر[1].

وقد زادت مواضيع الرثاء حين اهتم الشعراء بتوطيد الصلات مع الخلفاء والأمراء والملوك، فلا يتوفى خليفة أو غيره إلا ورأيت من الشعراء يرثون بقا صدئهم ولم يتوقف الرثاء هنا فقط، بل تطور هذا الفن على رثاء الأشخاص ، وهو رثاء المدن والمماليك، مثل : سقوط مدينة البصرة في أيدي التتار، جاء في مطلعها:

ذاد عن مقتلي لذيد المنام شغلها عنه بالدموع السجام[2]

أيّ نوم بعد ما حل بالبصرة من تلكم الهنات العظام.

إلى أن يقول:

كم أخ قد رأى أخاه صريعا ترب الخدّ بين صرعى كرام

أين تلك القصور والدور فيها أين ذاك البنيان ذو الأحكام.

وما نستشفه من خلال هذا الحالة النفسية التي يمر بها الشاعر حيث يصف مفقودا أو محزونا، وشعور حقيقي لا يمكن أن ندركه إلا من مر به وعايشه.

ا

[1] _ بن ردهم عبد الرحمان، نزهة الأبصار بطرائق الأخبار والأشعار، دار العباد،ط1، ج1، بيروت، ص16.

[2] ._الشرقاوي محمود، رثاء البصرة في شعر ابن الرومي، القاهرة، 1941، ص112.

خاتمة

خاتمة

من خلال بساط الخلفية التاريخية لتلك الحقبة الزمنية ففتحنا مغاليق الشعر الأندلسي إذ لا يمكن فهم النتاج الشعري، والتغلغل في نسيجه الجمالي والفني دون وعي بملابساته والظروف التي أفرزته أثناء **ثورات العصبية وفساد السلطة في الأندلس** ، لذلك كانت سيرة ملوك الطوائف قد اتسمت بالقساوة والظلم والطمع، الذي حدا بهم إلى الاستعانة بالنصارى وصولًا للرئاسة والزعامة، لكن النصارى تطلعت أعينهم إلى الاستيلاء على المدن الأندلسية؛ لما يرونه من شقاق وضعف بينها، وهنا بدأت المأساة؛ حيث تزامن مع هذا الضعف السياسي سقوط اجتماعي، ومحن وابتلاءات، تمثلت في الفقر، والمرض، والحسد والوشاية، والسجن، وفقدان الأحبة وذوي الود، والصراع مع الزمن، والشكوى من الغربة ومثلت هذه المصاعب هاجسًا حيًّا وقَّادا ران على عقول الأندلسيين؛ فخطوا خطوات باذخة بشعرهم، كفاء كرم الأحداث التي عايشوها، وعلى الرغم من الانكفاء والتقوقع الاجتماعي والإقصاء والتفكك السياسي، فإننا نجد جذوة الشاعر مضطرمة، ومجالات المعرفة والثقافة طامحة مشرئبة، تضيء طريقًا مظلمة عانى منها الأندلسيون في تلك الفترة.

لعل من أهمها على الصعيد العام: نكبة بربشتر، نكبة طليطلة، موقعة الزلاقة، أما على الصعيد الذاتي فهناك النكبة العاطفية، ونكبة ضياع الملك، وفَقْد الثروة والأسر، هذا إلى جانب مَن ابتُلي بالسجن، والفقر، والغربة، وغيرها من النكبات الاجتماعية والسياسية المختلفة.

مع ذلك لم تُولِ في دراساتنا التي تناولنها في الشعر الأندلسي الزمَن حقه من الأهمية، أو اقتصرت في تناوله على شاعر بعينه، ومن هنا ارتأيت تناوُلَ هذه القضية على امتداد حقبة زمنية كاملة، هي عصر الطوائف، متتبعة النصوص الشعرية في مظانها، محللة انعكاس الأحداث وصدى أصواتها على الشعراء

❖ بالرغم مما ُفِي به التراث الأندلسي فقد بقيت منه بقية، ما تزال تحتفظ بها المكتبات وخزائن الكتب، ودور العلم في شتى بقاع الأرض.

❖ كشف اللثام عن جوانب مهمة في الشاعر الأندلسي ما تزال بحاجة إلى مزيد من التأمل والبحث

❖ كشف عن حضور مكثف وعميق للزمن؛ فتيار الزمن يسري بقوة في شعر ذلك العصر؛ شكلًا ومضمونًا

❖ البحث جهد متتابع، وحلقات متواصلة؛ لذلك لا بد من الانطلاق من جهود السابقين؛ ليكتمل البناء، وتتنوع الرؤى، وتتضح الحقيقة.

❖ الوقوف على مدى تأثر الشعراء الأندلسيين بفكرة الزمن الفلسفية، وانعكاس ذلك التأثر على مواقفهم في أشعارهم

❖ محاولة استجلاء الإبداع الشعري الأندلسي، مستفيدة من معطيات المنهج التاريخي في محاولة للوصول للبعد التاريخي المتمثل في ربط الأحداث والمواقف التي مر بها عصر الطوائف وأثرها في الشعراء ونتاجهم

❖ الحرص على دراسة الصيغ والتراكيب والصور الفنية المميزة للشعر الأندلسي في عصر الطوائف؛ لأن الزمن إنما يتضح في سياق الأسلوب

❖ غزارة المادة الشعرية التي تجلت فيها قضية الزمن مشكلة ظاهرة واضحة في الشعر الأندلسي، وليس غير الشعر متكأ للتنفيس عن تلك المشاعر المحبوسة والأحاسيس المخزونة في نفوس الشعراء الأندلسيين جراء ما عصف بهم من نكبات ومآسٍ

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أ- المصادر:

1. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في صبا الأطباء، تح: محمد باسل، عيون السور، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط1.

2. ابن الآبار، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، ج2، دار المعارف، ط2، 1985.

3. ابن الأثير أبي الحسن علي بن أبي الكرم(ت630)، الكامل في التاريخ، مر: محمد يوسف الدقاق،مج5، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1407هـ/ 1987م.

4. ابن الأثير أبي الحسن علي بن أبي الكرم(ت630)، الكامل في التاريخ، مر: محمد يوسف الدقاق،ج1 ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1407هـ/ 1987م.

5. ابن الأثير أبي الحسن علي بن أبي الكرم(ت630)، الكامل في التاريخ، مر: محمد يوسف الدقاق، مج 3،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1407هـ/ 1987م.

6. ابن الأثير أبي الحسن علي بن أبي الكرم(ت630)، الكامل في التاريخ، مر: محمد يوسف الدقاق، ج 8،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1407هـ/ 1987م.

7. ابن الخطيب لسان الدين أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تح: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، ط 2، 1956

8. ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ.

9. ابن الخطيب لسان الدين، الديوان، تح: محمد مفتاح، ج2، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1989م.

10. ابن الخطيب لسان الدين، عصره / بيئته/ حياته/ مآثره، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م.

11. ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مج1، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

12. ابن بسام في الذخيرة عن ابن حيان في أوساط في الحفلات والقصور المأمونية ، القسم الرابع.

13. ابن حيان القرطبي، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تح: محمود علي مكي، (د.ط)، القاهرة، 1994م.

14. ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، تح: عبد الرحمن درويش، ج2،ط1، دار البلح، دمشق، 2004.

15. ابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت681/608هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: احسان عباس، مج2، (د.ط)، دار صادر، بيروت، (د.ت).

16. ابن ردهم عبد الرحمان، نزهة الأبصار بطرائق الأخبار والأشعار،دار العباد،ط1،ج1، بيروت.

17. ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف،مصر،ج1.

18. ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس المغرب، ج2، ط2، تح: كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة للنشر، بيروت،1400هـ/ 1980م.

19. ابن فارس أحمد بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة،تح: عبد السلام هارون،دار الفكر للطباعة،بيروت، 1979م.

20. ابن منظور، لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، ج6،(د.ط)، دار صادر، بيروت، (د.ت).

21. ابن منظور، لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، مج1،(د.ط)، دار صادر، بيروت، (د.ت).

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى، صفة جزيرة الأندلس، تح: ليفي بروفنسال، دار الجيل ،بيروت، لبنان، 1988.

22. أبي الفرج ممحمد بن أبي يعقوب إسحاق (النديم)، الفهرست، تق: يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،

23. أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: احسان عباس، ج5، (د.ط)، دار صادر، بيروت،(د.ت).

24. أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: احسان عباس، ج4، (د.ط)، دار صادر، بيروت،(د.ت).

25. الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد، تذهيب اللغة، تح: عبد السلام هارونوآخرون،ج15، دار المصرية، مصر.1967م.

26. إسماعيل بن بلبل أبو الصقر،معجم أنساب لزامباور،ج1،مطبعة جامعة فؤاد الأول، مصر، 1951م.

27. الترميذي أبو عيسى ،سنن الترميذي(الجامع الكبير)، كتاب الجنائز، رقم904، دار الغرب الاسلامي، بيروت،ج3، 1993م.

28. الجوهري اسماعيل بن حماد، الصحاح في اللغة، تح: أحمد عبد الغفورعطار، دار العلم للملايين، بيروت،ط4، 1990 م.

29. الخسناء،ديوان الخسناء،تح: ابراهيم عوض ،مطبعة السعادة، القاهرة،1985م.

30. الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح: هنداوي عبد الحميد،ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،2003.

31. خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الأعلام، ج4، دار العلم للملايين، د ط، د ت.

32. الدينوري ابن قتيبة، الشعر والشعراء،ج1،تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر،1958م.

33. ديوان مهلهل بن ربيعة، تق: طلال حرب ، الدار العالمية، بيروت، 1992م.

34. زكي مبارك، زهر الآداب وثمر الألباب للحصري، ج1، مكتب المحتسب، عمان،ط4، 1972.

35. السجستاني، تح: عبد المنعم عامر، دار احياء الكتب، القاهرة،(د.ط)،(د.ت).

36. عبد الرحمن ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج7، مج [1]، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

37. عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبر المغرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ت.

38. القرافي شهاب القرافي،الفاروق للقرافي، تح: عمر حسن القيام، مؤسسة الرسالة،بيروت،ط1، ج2، 1424.

39. محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي شم الدين أبو عبد الله، سير أعلام النبلاء، ج18، بيت الأفكار، د ط، د ت.

40. المقري شهاب الدين، أزهار الرياض في أخبار عياض،ج1، تح: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة فضاله، المحمدية، الرباط،1979م.

41. هونكا زغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، ط8، دار صادر ، بيروت، 2002.

42. ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي شهاب الدين أبو عبد الله، معجم البلدان، ج4، دار صادر 1993.

المراجع:

43. أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، القاهرة،1985م.

44. أيمن يوسف ابراهيم جرار، الحركة الشعرية في الأندلس، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، د ت، د ط.

45. بطرس البستاني، أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث حياتهم وآثارهم، دار نظير عبود، بيروت،(د.ت).

46. بن جعفر قدامة، نقد الشعر،(د.ط)، مطبعة برلين، لندن،1956م.

47. جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، ط2، دار المعارف،مصر، 1966م.

48. حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، (د.ط)، مكتبة الأسرة الفكرية، (د.م)، 2003.

49. الدقاق عمر، ملامح الشعر الأندلسيين، بيروت، دار الفكر،(د.ت).

50. الشرقاوي محمود، رثاء البصرة في شعر الرومي،القاهرة،1949م.

51. شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط11، دار المعارف، القاهرة،(د.ت).

52. صادق جودت، تاريخ المغرب والأندلس، ط1،منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، 1997م.

53. صلاح جرار، قراءات في الشعر الأندلسي،(د.ط)،(د.ت).

54. طارق سويدان، الأندلس التاريخ المصور، ط1، الابداع الفكري، الكويت، 2005.

55. الطاهر أحمد مكي، دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة،ط3، دار المعارف، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

56. الطويل يوسف، مدخل إلى الأدب الأندلسي، ط1، دار الفكر، بيروت، 1991م.

57. عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ط2، دار القلم للنشر، لبنان، 1981.

58. عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس،(د.ط)،(د.ت).

59. عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة تمضية الشرف، القاهرة، (د.ت).

60. عصمت عبد اللطيف دندش، في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف، دار الغرب الاسلامي،(د.ت).

61. علي محمد الصلابي، دولة الموحدين، (د.ط)،دار البيارق للنشر، 1998.

62. فاضل فتحي، الفتن والنكبات الخاصة وأثرها في الشعر الأندلسي، دار الأندلس،(د.ط)، (د.ت).

63. لويس شيخو، مجاني الأدب في حدائق العرب،مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت،ج5، 1913م

64. محمد الأمين ومحمد علي الرحمان، المفيد في تاريخ المغرب، (د.ط)، دار الكتاب للنشر، الدار البيضاء، المغرب.

65. محمد حمدان، أدب النكبات في التراث العربي،اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2004.

66. محمد سهيل طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ط 1، دار النفائس، 2010

67. محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين،(د.ط)،(د.ت).

68. مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب،ج3، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت،1974م.محمد ابراهيم الفيومي، تاريخ الفلسفة الاسلامية، دار الجيل، بيروت، ط1، 1997م.

69. نافع عبد الله، الهجاء في الشعر العربي الأندلسي،(د.ط)،(د.ت).

70. يوسف عبد ، أصوات الهزيمة في الشعر الأندلسي،ط1، دار الفكر، بيروت،1993م.

71. يوسف فرحات ويوسف عبد، معجم الحضارة الأندلسية، ط1، دار الفكر العربي، بيروت،(د.ت).

الرسائل الجامعية:

72. شاهر عوض الكفاوين، الشعر العربي في رثاء دول الأمصار حتى نهاية سقوط الأندلس، رسالة دكتوراه في الأدب العربي، جامعة أم القرى، مكة،1984م.

73. عائشة ابراهيم، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في صري الطوائف وبني الأحمر، مذكرة لنيل دكتوراه في اللغة العربية، أم درمان، 2007- 2008.

74. عوض محمد أسعد الدوري، ابن اللبانة الأندلسي، جامعة تكريت، كلية التربية، سامراء،مج3، ع7.

75. محمد عدنان، سهولة الانتشار بين المغرب والأندلس، رسالة ماجستير فب التاريخ الاسلامي، جامعة خليل،2012.

فهرس المحتويات:

شكر وعرفان

قائمة المختصرات

إهداء

مقدمـة: ..... أ

المدخل: ظاهرة العزة والنفوذ في عهد بني أمية والدولة العامرية

1- ظاهرة العزة والنفوذ في عهد بني أمية في الغرب: 7

2- الدولة العامرية ونكبة سقوط قرطبة. 18

الفصل الأول: شعر النكبات في الأندلس

المبحث الأول : تعريف النكبات في الأندلس..... 22

المبحث الثاني: أسباب النكبات: 23

المبحث الثالث: شعر الرثاء(الهدف منه وحريته) 28

المبحث الرابع: أهم الشعراء الذين تعرضوللنكبّات 32

الفصل الثاني: النكبات في عصر ملوك الطوائف

المبحث الأول: نكبة بربشتر ونكبة طليطلة: 42

المطلب الأول: نكبة بربشتر: 42

المطلب الثاني: نكبة طليطلة:..... 45

المبحث الثاني : نقص النكبات في عهد المرابطين و الموحدين..... 56

المطلب الأول: نقص النكبات في عهد المرابطين 56

المطلب الثاني : نقص النكبات في عهد الموحدين 61

الفصل الثالث: طيلة النكبات قبيل سقوط الأندلس من خلال الشعر لبني الأحمر

المبحث الأول: الشعر الأندلسي واتجاهاته " لبني الأحمر": 67
المطلب الأول: اتجاهات الشعر الأندلسي:..... 67
المطلب الثاني: الأغراض الشعرية في الأندلس: 68
المبحث الثاني: عوامل ازدهار الحركة الشعرية في عهد بني الأحمر: 73
المطلب الأول: بروز ملوك الشعراء ومكانة الشعر لديهم: 73
المطلب الثاني: الهجرة من المدن الأندلسية إلى غرناطة: 75
المبحث الثالث: طيلة النكبات قبيل سقوط الأندلس من خلال شعر أبو البقاء الرندي: 77
المطلب الأول: أبو البقاء الرندي:..... 77
المطلب الثاني: الشعر الأندلسي واتجاهاته :"لأبو البقاء الرندي":..... 78
المطلب الثالث: رثاء المدن والمماليك في نونية أبي البقاء الرندي: 80
خاتمة..... 84
قائمة المصادر والمراجع 87